obeikandl.com

obeikandl.com

محمد سعيد طيب

أحلام الصبا

س: كثيرون من القراء وخاصة من الأجيال الجديدة لا يعرفون من هو محمد سعيد طيب. حبذا لو كلمتنا عن تكوينك الاجتماعي والثقافي ومرابع طفولتك والمدارس التي درست فيها وقراءاتك المبكرة.. ولا يخفى عليك ما لأهمية ذلك في دراسة شخصيتك الآن من خلال محاضن التربية تلك التي ترعرعت فيها؟

ج: يا أخي العزيز، هذا سؤال تحتاج الإجابة عنه إلى كتاب كامل. وهي بلا شك لن تسبر غورها مقالة في صحيفة أو مجرد حوار أو عمود. لكن - ببساطة وتلخيص شديد - أقول: إنني ولدت وترعرعت وتلقيت تعليمي الإعدادي والابتدائي والثانوي بمكة المكرمة، ومصادر ثقافتي والمكونات الأولى لاطلاعي تمثلت في ما كان يرد إلينا من القاهرة وبيروت، القاهرة بالدرجة الأولى في ذلك الوقت، من كتب ومطبوعات وصحف ومجلات، ومن روافد أخرى معززة تمثلت في الإذاعة المصرية آنذاك. ولا أنكر أننا عشنا في - ذلك الوقت - على إنتاج مفكري مصر وكتابها وشعرائها وصحفييها وأدبائها. ويظل تأثير لبنان أقل من مصر، وتأثير الآداب المترجمة أقل أيضاً. وأذكر أننا في مرحلة الشباب في أثناء المرحلة الثانوية - اطلعنا على الأدب المترجم.. حيث ازدهرت حركة الترجمة في ذلك الوقت في بيروت وقرأنا أهم الترجمات لفيكتور هوجو وتشالز ديكنز وغيرهم..

س: دعني أسأل هنا عن الكتَّاب العرب الذين تأثرت بهم في ذلك الوقت بالتحديد؟

ج: كنت أميل إلى قراءة أعمال طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني إلى حد ما، ثم أعمال الأدباء الآخرين من الشباب - آنذاك - وهم في غالبيتهم صحفيون كأحمد بهاء الدين ويوسف السباعي ومحمد عبد الحليم عبد الله ومحمد حسنين هيكل. لكنني لم أهتم كثيراً - في ذلك الوقت - بما يكتبه العقاد.

obeikandl.com

س: وما السبب في عدم هذا الاهتمام؟ والعقاد اسم حفر في الثقافة العربية؟

ج: السبب أنه أتيحت لي - وأنا طالب في المرحلة الثانوية - أن ألتقي بالدكتور طه حسين.. عندما جاءنا ليترأس اجتماع اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية.. والتي عقدت اجتماعها - آنذاك - في جدة. وقد تأثرت جداً أنا وزملائي من ذلك اللقاء الذي امتد لأكثر من ساعتين.. مع الأستاذ العميد - على أنني استدركت ذلك - فيما بعد - وقرأت الكثير للأستاذ العقاد.

س: لنعد إلى تلك الفترة، هلا حدثتنا عن تكوينك الاجتماعي والأسرة التي نشأت فيها.

ج: أنا نشأت في أسرة متوسطة. كان والدي "قمَّاشاً" وقد كان هذا النمط من التجارة هو السائد في أسرتي كلها، وبعض أسرتي وأقاربي مازالوا قمَّاشين في مكة. ولدينا منزلا أوقاف ورثناهما، ونعتبر أنفسنا أسرة متوسطة. والحقيقة أنا لم أشعر في شبابي بما كان يعرف آنذاك بالفوارق الطبقية. وكنت أحس بأن المجتمع المكي متقارب فيما بين ساكنيه.. وهو لا ينظر أبداً بعيني المظهر والاقتناء، وقد سيطرت علينا فكرة القراءة والاطلاع الخارجي والتثقيف الذاتي والاهتمام بالشأن العام، وقد تغلب ذلك على الكثير من تطلعاتنا الآنية والمادية.. حدث ذلك منذ وقت مبكر؛ ولذلك أستطيع أن أزعم بأن (أنا وجيلي معي) الوطن ظل يشغل مساحة كبيرة جداً في الذهن والوجدان. كما أن اهتمامنا بحاضره وبمستقبله وبتقدمه كان يشغل تفكيرنا ووجداننا.. وما يزال.!!

س: لأنتقل إلى جيل الرواد السعوديين كما يطلق عليهم.. وأسأل محمد سعيد طيب وجيله: من كان من أولئك الرواد الذين سبقوكم وقفتم أمام اسمه وكنتم تتطلعون إليه كقدوة ونموذج يحتذى؟

ج: الحقيقة أن من أثر فينا - بالفعل - هو أستاذنا المربي محمد فدا - يرحمه الله - مدير المدرسة الرحمانية الثانوية آنذاك ومدير عام مدارس الثغر النموذجية في جدة

فيما بعد.. وهذا الرجل العظيم والتربوي النابغة كان له أبلغ الأثر في تكويننا وفي توجيهنا - منذ مطلع الشباب - للاطلاع الخارجي والتثقيف الذاتي.. والتفاعل مع المجتمع.. وأعتقد بأنه لو لم تتح لنا الفرصة لأن نتعرف عليه ونلتقي به لتكون بيننا وبينه تلك الصلة، لربما كان منحى حياتنا قد أخذ اتجاهاً آخر..

وهناك أستاذ آخر.. نبيل وكريم نشأت بيننا وبينه أكرم الصلات.. وكان له تأثير إيجابي في تنمية الاتجاهات نفسها.. وتشجيعنا على القراءة والنقاش الحر.. وفتح كثير من الآفاق أمامنا هذا الأستاذ.. هو الصديق الكبير الأستاذ/ حسن أشعري الذي كان من دواعي سعادتي أن امتدت معه الصلة منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا.

س: هل تتذكر بعضاً من زملائك في تلك المرحلة من العمر؟

ج: أذكر منهم.. في الوسط الصحفي مثلاً الأستاذ السيد عبد الله الجفري وهو أبرزهم. والسفير الشاعر محمد صالح باخطمة. وهنالك الدكتور سعود سجيني الأستاذ المعروف بكلية الطب، والدكتور عصام قدس مدير عام مستشفى العيون وعدد آخر من الزملاء الذين أعتز بزمالتهم وصداقتهم.

س: كيف كانت أحلامك وطموحاتك وأنت في تلك السن؟ وهل تحقق منها شيء؟

ج: في تلك الفترة استولت علينا فكرة الوحدة العربية، والحقيقة أنها شغلت الكثير من وجداننا وضمائرنا، وقد رسخ هذا التوجه قيام الجمهورية العربية المتحدة أبان الوحدة ما بين مصر وسوريا في ١٩٥٨م. لكن انفصالهما في بداية الستينيات كان كارثة كبرى ووجعاً أليماً، وإحباطاً شديداً، ثم جاءت هزيمة ٦٧ لتكرس هذا الإحباط. وكنت أقول دائماً إن محمد سعيد طيب هزائمه كثيرة، وأحزانه كثيفة - ولكن أحلامه وتطلعاته لا حد لها، فأنا ما زلت أحلم بالوحدة

العربية، وهي ليست مستحيلة - بأية حال - ويمكنها أن تكون حقيقة ماثلة، خاصة إذا ما اقتدينا بالنموذج الأوربي والسوق الأوربية المشتركة. فلنأخذ عشرين عاماً من الإعداد والتحضير والتقارب وتوحيد الأنظمة والتشريعات، وسنجد بعد ذلك أن ما تبقى صار قليلاً للغاية.

س: هذا حلم واحد من أحلام عديدة.. ولعله كان الحلم الأكبر لديك، هل أطمع أن تحدثنا عن أحلامك الشخصية والمجتمعيّة والوطنية؟

ج: على الصعيد الشخصي، تجدني سعيداً جداً بأسرتي الصغيرة المكونة من ابنتيّ وولدي، وتطلعاتي المادية في الحياة قليلة ومحدودة، ذلك أنني لا أحلم بأرض أو بأرصدة أو عقارات، يشغلني الوطن بالدرجة الأولى، في حاضره ومستقبله، وفي هذا المنحى بالذات تجد آمالي لا حدود لها وتطلعاتي بلا نهايات. ومخاوفي - في ذات الوقت - كبيرة. أنا بطبيعتي قليل التفاؤل، لكني لا أملك إلا أن أتفاءل، فبغير التفاؤل يطبق اليأس علينا ويشل تفكيرنا ويوقفنا في محلنا بلا حراك.

فنحن - الآن - بإزاء قضايا ومعضلات كبيرة جداً مثل هذا النمو السكاني والتكاثر غير المبرر.. ومثل الشح في المياه والموارد، وكذلك الخلل الاجتماعي الواضح للعيان، وهو أمر مقلق بلا شك. وأيضاً مسألة البطالة التي لا يمكن أن نغض الطرف عنها أو نتجاهلها كلياً، وهي بكل تأكيد معضلات كبيرة، ثم هنالك دين عام ضخم سيكون إرثاً ثقيلاً على الأجيال القادمة، وكذلك التدهور في صحة البيئة في العديد من المناطق.. لكن أعود وأقول إن هذه المعضلات ليست سهلة بأي حال ولا أستهين بها، لكنها ليست مستحيلة الحل والتجاوز، إذا ما عقدنا النية بالعزم على التصدي لها، فإننا - وخلال سنوات قليلة - سنضع أنفسنا على المسار الصحيح بإذن الله.

اتهامات وردود

س: يُقال إن لمحمد سعيد طيب مواقف حادة أوقعته أحياناً في الحرج، فهو متصلب ومعتد برأيه ولا يتنازل عنه حتى وإن كان مخطئاً.. إلى أي درجة هذا الاتهام صحيح؟

ج: غير صحيح. بدليل ما ذكرته لك آنفاً من خلال قولي إن ما كان في عداد القناعات لدى محمد سعيد طيب تراجع عنها عندما وجد أن ظروف المرحلة تقضي بذلك، وقد كان وتواءمت مع طبيعة الظروف المحدثة، وهذا دليل على عدم تصلبي أو اعتدادي برأيي، لكنني لا أتنازل عما أراه حقاً وعدلاً على الإطلاق.

س: وماذا عن صراحة محمد سعيد طيب التي تسبب له المتاعب في كثير من الأحيان، والتي يرى بعضهم أنها تختفي تماماً عندما يمس النقاش أفكاره وآراءه وآراء أصدقائه؟

ج: (ضاحكاً).. أكبر دليل على خطأ تلك المزاعم.. هذا الحوار الذي يجري الآن بينك وبيني، وأنا تعهدت لك منذ البداية بأنني لن أعترض على أي سؤال ولن أتدخل لتعديله.. ليس عندي ما أخفيه.. أو أخجل منه.!

س: هل صحيح أنك تستفيد من الأجواء الرقابية بالذهاب إلى أقصى مدى ممكن من التعامل مع آرائك بحرية، وبالتالي تتجنب بهذه الطريقة المواجهة مع كثيرين يرغبون في مناقشتك لأنك تضع الأمور في نطاق محصور بين الأبيض والأسود.. بمعنى إما أن يكون الآخر معك.. أو ضدك؟

ج: لا والله. أنا لا أتعمد مثل هذا الفعل بقدر ما أنني أقول ما أعتقد أنه الصحيح.. وأرى أنه الحق والعدل. أنا لا أتعمد ولا أخطط لشيء ولا أتربص بأحد.. وليس عندي مواقف مسبقة - بل لا يوجد بيني وبين أي أحد حسابات أود تصفيتها.. لا لشيء من كل هذا.. لذلك تجدني إذا خلدت للنوم أنام - في الأغلب - بعمق شديد بلا أرق أو تأنيب ضمير.

أنا لست كاتباً محترفاً

س: إذاً، لماذا تظل آراؤك غير قابلة للطرح والنقاش على المستوى العام في الصحف والقنوات الإعلامية عموماً، مع أن المسألة بتقدير الكثيرين لا تستوجب أكثر من إعادة صياغة للأشياء بطريقة أو بأخرى. كيف تفسر غيابك عن المشهد الإعلامي في وقت يحضر فيه بكثرة أناس آخرون من خندقك نفسه كالفوزان، الشريان، خزندار وغيرهم؟

ج: يا أخي العزيز، أنا لم أسع إلى الكتابة وحيل بيني وبينها. أنا ظللت موظفاً لربع قرن من الزمان بتهامة، وواجباتي الوظيفية حرمتني من كثير من الأشياء كأن أكتب مثلاً، ذلك أن وقتي كان مكرساً لهذه الوظيفة الكبيرة وهذه المسؤولية. ولهذا لم يكن لدي الوقت كي أكتب أو أحضر مؤتمرات أو منتديات ليست لها صلة بوظيفتي - بل على العكس، إذا قدّر وكان لي بعض الوقت فإنني أفضل أن أستغله في القراءة. والكتابة لم تكن هدفي في يوم من الأيام، وأنا لست كاتباً محترفاً. والأسماء التي تفضلت بها في سؤالك هي لكتّاب محترفين.

*****

أحببت تهامة

س: إذاً دعني أدينك من فمك. تقول إنك مكثت في تهامة خمسة وعشرين عاماً، ألا يتناقض هذا مع ما تدعو إليه من تعددية وإفساح المجال للآخر؟

ج: (ضاحكاً بشدة) ولهذا السبب بالذات خرجت من تهامة. وأنا الذي اتخذت القرار، قرار خروجي. وأتفق معك أن المدة طويلة، وكنت أتمنى في وقت مبكر أن أغادر مركزي، ولكني أحببت تهامة، وأشعر أن تهامة ومن فيها أحبوني.. لم

أجلس على رقاب الناس - كما يفعل بعضهم.. ولم أستمر في منصبي ضد إرادة الشركاء أو مجلس الإدارة، هذا هو التبرير الوحيد المتوفر لدي.

س: لكن هذا الكلام وما معه من تبرير يمكن أن نسحبه على أولئك الذين كثيراً ما انتقدتهم بسبب مكوثهم في مناصب ومراكز بارزة لمدد طويلة؟

ج: (مقاطعاً) أنا أسلّم بأن المدة كانت طويلة، ولا أملك أي تبرير غير الذي ذكرته لك، لكن هذا لا يجب أن يعني أنني راض عنه.. ولا يجب أن يتخذ مقياساً لشيء آخر.

*****

الصواميل هي هي

س: أحد محبيك يسأل: لا شك بأن كثيرين يقفون إجلالاً وإكباراً لسنوات عمرك التي بذلتها في سبيل قناعاتك البالغة الحدة ذات يوم، والآن وبعد أن تحلحلت عقد كثيرة ومضت أشياء أكثر واستجدت غيرها.. وقبل كثيرون بحلول جزئية متعللين بأفضليتها من اللاشيء. هل ما تزال قدماك تقفان على الخط نفسه؟ وعند المنحنى ذاته؟

ج: نعم. وبالنسبة لي لم تتحلحل عقد ولا تحلحلت صواميل، إنما أنا فرد لا عداوة بينه وبين الآخرين. بل إنني في حالة حوار دائم ومستمر حتى مع أولئك الذين يصنفون على أنهم أعداء لي. إذن أنا في حالة تصالح مع مجتمعي. وربما تكونت لدي وجهات نظر مختلفة ومغايرة للآخرين - لكن الحوار بيني وبينهم دائم ومستمر. وأقول لهذا المحب إن العقد والصواميل ما زالت هي هي.!

*****

مرحباً بالجميع

س: الذين قالوا ذات يوم وفي كل مناسبة تعليقاً على عنادك: (الله يهديه.. نصحناه ولكن!!). هل كانوا يقولون الحقيقة؟ وأنك ذهبت إلى أكثر مما كان ينبغي وأبعد مما كانوا يظنون؟ وهل ما زالوا باقين في أجوائك؟

ج: لقد أجبت عن هذا السؤال في صحيفة البلاد في زمن من الأزمان. والإجابة ربما بدت - حينها - غائمة وليست عائمة كما وصفها بعضهم. والذين يزعمون أنهم نصحوني هم أدعياء، بصراحة. وهم في الحقيقة أصغر من أن ينصحوني، والموضوع - برمته - كبير عليهم.!!، وأرجو ألا أكون متجاوزاً - ولكن مع إيماني المطلق بأن الحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها أنّى وجدها.. فأنا لا أستنكف أن أسمع النصيحة من أي كان، لكن هؤلاء الذين يزعمون أنهم نصحوني هم مجرد أدعياء. أما مسألة أنهم ما يزالون في أجوائي فلا أدري، ربما يتسلل بعضهم.. مرحباً بالجميع.

س: شعورك بالغبن بعدم تقليدك أي منصب هل هو السبب وراء هذه المواقف الحادة؟

ج: (مقاطعاً) منصبي في تهامة - طيلة ربع قرن - لم يكن صغيراً.. ولا هامشياً.. وكنت - ومازلت - في دائرة الضوء.. وصدقني إن هذا ليس مصدراً لسعادتي.. وأنا لم أسع إلى أي منصب حكومي. وسجّل على لساني أنني لا أتطلع إلى أي منصب.. حكومي وغير حكومي.

س: هذا الموقف هل اتخذته أخيراً أم أنه ملازم لمسيرتك الفكرية والمعرفية؟

ج: ألا تعتقد أن إجابتي السابقة.. كافية؟!

س: كثير من دعاة الديمقراطية والتعددية لا يلقون بالاً إلى مسألة غاية في الأهمية ألا وهي نضج المجتمع. كيف ترى الأمر؟

ج: هذه الديمقراطية الناضجة المتكاملة.. التي في بريطانيا.. مثلاً.. ليست هي وليدة سنوات قليلة. هي نتاج تجارب متوالية.. ومتصلة.. تمتد لأكثر من أربع مئة سنة، توصّل الناس هناك - من خلالها - إلى الديمقراطية عبر المزيد من الديمقراطية.. وكما يُقال فإن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة.

س: فلننظر إلى تجربة الديمقراطية الكويتية، تحولت الآن الانتخابات فيها إلى ولاءات قبلية بالدرجة الأولى وصل بها الحد إلى أن طغت على الولاء الإسلامي للناخب، فإذا ما نقلت مثلاً مثل هذه التجربة إلينا فإن فئة التكنوقراط سيخسرون كثيراً بسبب تحول العملية برمتها إلى ولاءات دون النظر لمصلحة الوطن؟

ج: خاسرة خاسرة. ماذا سيخسرون؟ بالعكس إن يد الله مع الجماعة. إذا كانت هذه الجماعة تعمل بإرادتها الحرة المطلقة الخالية من أي تأثيرات غير شرعية، على اختيار ممثليها فهذا سيؤدي - حتماً - إلى تحقيق ما يريده الناس، فإذا رفض الناس، مثلاً، محمد سعيد طيب فإنني أتقبل ذلك بكل سعة صدر، وإذا اختاروا شخصاً أدنى منه فسأقبل ذلك أيضاً وأحترم اختيار الأغلبية.

س: وماذا تقول لو أن هذا الذي هو أدنى منك وصل بواسطة المال أو الولاء القبلي؟

ج: بعض الدول، وكما ذكرت لك، إذا وجدت أن لديها مشكلات مثل هذه فإنها تلجأ إلى الحلول الأخرى كالمجالس المنتخبة والمعينة، وفي التعيين - يختارون - عادة الذين يعلمون.!!

س: حصول محمد سعيد طيب على بكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة مؤخراً وهو بالكاد يتقاعد، ما الدافع الحقيقي لهذا؟ وهل له علاقة بما عاناه من قبل من مساءلة عبر مواقف مختلفة حفلت بها حياته؟

ج: (ضاحكاً) لا. الحقيقة كان ذلك مطمحاً شخصياً منذ حياتي الجامعية الأولى التي حيل بيني وبين إتمامها في كلية الحقوق بالذات. وفرضت عليّ - آنذاك - كلية لا أرغب في دراسة التخصص فيها. فأنا لم أكن أسعى إلى الاقتصاد أو العلوم السياسية التي تخرجت فيها.. بل كنت أطمح إلى دراسة الحقوق - التي حيل بيني وبينها - فظلت مطمحاً في نفسي إلى أن تيسرت لي الفرصة المناسبة كي أحقق هذا الطموح.. إنني أتساءل - وبمنتهى الأدب والتهذيب -: لماذا تشغلون أنفسكم بمثل هذه الأمور.؟!

س: أثارت كلماتكم الموجهة للأستاذ عبد الكريم الجهيمان إحساساً لدى بعض الناس أن لكم موقفاً مغايراً منه، سابقاً، تغير بتكريمه مؤخراً في الجنادرية. ما هي دواعي هذا الموقف؟ هل يعود السبب في جانب منه إلى الإقليمية التي يتهم بها الرجل؟ أم أنه هو صاحب الموقف منكم؟

ج: موقفي كان واضحاً وصريحاً، وكلمتي حول الأستاذ الجهيمان أيضاً واضحة، فأنا ما أحببت هذا الرجل بداية لسببين وقد ذكرتهما ولا بأس من ذكرهما مرة أخرى:

الأول: أنه بدا لي متعالياً في أول مرة ألتقي فيها به، وكان هذا التعالي غير مبرر لديّ، بل شكّل لي نوعاً من الصدمة فنفرت منه.

أما السبب الثاني: فكان عندما رسّخ الجهيمان لديّ "الإقليمية" في أوضح صورها عندما اشتبك مع الأستاذ محمد عمر توفيق حول العاصمة فبدا لي - أيامها - "إقليمياً" - خاصة وأننا في ذلك الوقت كنا وما زلنا وحدويين ونتطلع إلى وطن كبير.. تذوب حدوده.. وتتلاشى مسافاته.. في مزيج عربي إنساني واحد.

ولما قدّر لي أن ألتقي الجهيمان، عندما تفضّل الرجل وزارني بدا لي - بعد نحو أربعين عاماً - غاية في السماحة والنبل.. ووجدت إنساناً "مختلفاً تماماً".

لقد هتفت - صادقاً - يومها:

- يا إلهي.! لم تأتي الأشياء الجميلة والنبيلة.. متأخرة - دوماً.!

س: كيف تعلق على المقالات التي كتبت عن مكة المكرمة، على ضوء أنك أحد أبنائها الذين تركوها وراءهم للأسف؟

ج: لم أتركها.. بل هي في ضميري ووجداني.! وستظل كذلك، وآرائي حول مكة أوردتها في كتابي "مثقفون وأمير" وفيها خطاب موجه إلى خادم الحرمين الشريفين، وفيه تلخيص لرأيي حول مكة - كمدينة - وما ينبغي أن تكون عليه. وكنت وما أزال أؤمن بكل ما أوردته في ذلك الخطاب، فلابد من إعادة صياغة الأمور.. ونحن قادرون على هذا.!

س: ألا تظن أن الهيئة العليا لتطوير مكة المكرمة قادرة على هذه الإنجازات الطموحة؟

ج: إن شاء الله. نحن نعلّق عليها آمالنا في أن تكون - كل الأمور - على المستوى اللائق الكريم الذي نتطلّع إليه.

*****

هيكل كاتب عظيم

س: ما هي انطباعاتك حول شخصية الأستاذ محمد حسنين هيكل؟

ج: كاتب عظيم، حرص كل الحرص على التوثيق الصحفي المهني للأحداث التي عايشها.. ومن الناحية الإبداعية وترتيب الأفكار أعتقد أنه قل نظيره، لأن هيكل هو صاحب أسلوب متميز وفريد، وهو كاتب شديد الاعتناء بما يكتب، لأنه لا

يكتب التعليقات السريعة أو الكلمات العابرة أو اللقاءات المسطحة، بل هو موثق لما يقول ويكتب.

س: كثيرون قالوا إن هيكل هو أحد أسباب الهزيمة المجلجلة؟

ج: هيكل لم يكن صاحب قرار - بل كان صديقاً لصاحب القرار، وكان كاتبه والمعبّر عن سياسته.

س: لكنه كان شديد التأثير على صاحب القرار؟

ج: بل كانوا أصدقاء لا أكثر ولا أقل.

س: هل تسعى إلى تبرئته من هذا الادعاء؟

ج: لا، أنا لا أسعى إلى إيجاد أي تبرير لهيكل، بل أقول إنه لم يكن صاحب قرار وهذا يعرفه الجميع. وهو نفسه لا يريد أن يكون صاحب قرار، بل كان وما يزال يفضّل أن يكون كاتباً وحسب، وأن يكون صديقاً للحرف وللكلمة. هذا هو هيكل وهذه هي رغبته. وقد رفض هيكل الوزارة مرتين عندما عرضت عليه في زمن عبد الناصر وزمن السادات من بعده.

*****

تاب الله علينا وعليه

س: واضح أنك شديد الإعجاب بهيكل، بل إن بعضهم يقول إنك شديد التعلق به له لدرجة تقليدك إياه حتى في استعمال الغليون؟

ج: (ضاحكاً) هذا كلام.. ليس له صلة بالحقيقة.. فالأستاذ هيكل لم يدخن الغليون في حياته. أنا أدخن الغليون نعم.. لكن هيكل يدخّن "السيجار"، وكلانا تاب الله عليه.!

س: هل كتبت مذكراتك أم أنك تنوي كتابتها؟

ج: للأسف لم أكتبها، لكني أرجو الله أن يوفقني وأعمل على كتابتها. وفي الحقيقة ليست هي بالشيء الكثير لكنني أزعم أن عندي ما يمكن تسجيله وكتابته، وأتمنى أن تتاح لي فرصة إنجاز ذلك، لأني بطيء في الكتابة.

*****

دمج الصحف.. ممكن

س: هل أنت مع فكرة دمج الصحف؟ وهل تعتقد أن دمجها هو الحل الأمثل لتطويرها وزيادة فاعليتها؟

ج: إذا استعملنا منطق السوق والاقتصاد الحر، نجد أن الفلسفة تقوم على مبدأ إعطاء الفرصة للجميع، فمن يحيا يحيا ومن يموت يموت. وعلى هذا الأساس من الصعب طرح المسألة كإلزام على أصحاب الشأن، بل تركهم يديرون أمورهم على النحو الذي يرونه مناسباً ومحققاً لأهدافهم كمؤسسين. وكصاحب قرار عندما أجد الأمور وصلت إلى مرحلة حرجة، لا يجب أن أقف موقف المتفرج، بل موقف الوسيط. فإذا رأيت أن هذه المؤسسة وتلك يمكن أن تندمجا معاً فسأسعى إلى أن يجتمع أصحاب الشأن ويتبادلوا وجهات النظر.. فلعلهم يخرجون بقرار ينقذ الجميع ولا يشرد الموظفين ولا يقتل الصحيفة.

س: ولكن أعضاء مجلس الإدارة سينقسمون - ولاشك - إلى تيارات يسعى أصحابها إلى فرض توجهاتهم فيها ومن خلالها.. ألا يؤثر ذلك من الناحيتين المهنية والمؤسسية على المستويين البعيد والقريب؟

ج: الذي يحدث في المؤسسات الصحافية، يحدث بدرجة التأثير نفسها في المجتمع بعامة. مجالس إدارات المؤسسات الصحفية ليسوا ملائكة ولا أنبياء، بل هم بشر كالآخرين، ما أود قوله هنا أن مسألة دمج المؤسسات الصحفية إذا كانت

مستعصية لضرورات تنازع المصالح، فإن مجرد التقاء المسؤولين في المؤسسات وتحاورهم ربما سيخرجون من حوارهم، بلاشك، بأفكار مفيدة. فمثلاً ما الذي يمنع المسؤولين في مؤسسة "البلاد" من الالتقاء بالمسؤولين في مؤسسة "عكاظ"؟. إذا تم ذلك وجلسوا في تحاور مفتوح لمدة أسبوع مثلاً فلابد أنهم سيخرجون بتصور موحد مشترك يمكن فيه الإبقاء على الصحيفتين، وما الذي يمنع مؤسسة البلاد، مثلاً من التفاهم مع إمبراطورية ضخمة مثل الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، وأن تكون جزءاً من هذه الإمبراطورية، مع احتفاظ "البلاد" بميزتها كصحيفة محلية تعنى بقضايا وتوجهات معينة. أعتقد أن هذا سيكون مكسباً لكلا الطرفين.

*****

مؤشر إيجابي

س: مع مراعاة كل ما ذكرته من خلال تلك الرؤى، كيف تنظر للانفتاح الإعلامي الحادث الآن على الساحة الإعلامية في بلادنا والمتمثل في هامش الحرية المتاح؟

ج: هذا مؤشر إيجابي لا يمكن تفسيره بغير ذلك..! وكلما ازدادت هذه المساحة المتاحة للكتاب لإبداء وجهات النظر المختلفة كان ذلك من مصلحة الوطن والمواطن.

*****

تهامة

س: التاريخ يكتب بعد رحيل الأشخاص؛ لأن الحقائق تطفو للسطح. وهاأنت الآن قد تركت تهامة فاسمح لي أن أسألك عن السبب الحقيقي وراء استقالتك عن تهامة؟ هل حقاً لأن الناشر لم يكن مقتنعاً بأدائك؟

ج: من هو - هذا - الذي لم يكن مقتنعاً بأدائي..!!

أنا - وكما ذكرت لك - أمضيت بتهامة خمسة وعشرين عاماً، وقد رأيت أنها أكثر من كافية لأي موظف مهما كانت مواهبه وقدراته، وإنجازاته.. ومهما زعم أنه هو المؤسس. رأيت أن ذلك يكفي، وأنه آن الأوان لإتاحة الفرصة لكوادر أخرى. وأنا شخصياً عندما غادرت تهامة لم أغادرها شاباً بل كنت وقتها على مشارف الستين، وكان من حقي أن أستريح.

س: لكن هذا التبرير الذي أوردته يبدو غير مقنع لكثيرين خاصة وأن محمد سعيد طيب ارتبط اسمه بتهامة، فكيف يترك المجال بمجرد مجيء ناشر جديد؟

ج: (مقاطعاً) لا على العكس، ليس بمجرد مجيء الناشر الجديد - على حد تعبيرك - بل ظللت خمس سنوات بعد مجيئه. صدقني ليس هناك أي شيء آخر غير ما قلته لك وعلاقتي بالجميع - الناشر.. وغير الناشر.. أعضاء مجلس الإدارة والمساهمين وأعضاء الإدارة التنفيذية.. من أحسن ما يكون.!!

س: بعض الذين شاركوك العمل في تهامة يتهمونك بأنك السبب في فشلها كدار نشر وتوزيع، وذلك لإصرارك على طبع كتب لم تحقق رواجاً رغم العناية بها؟

ج: إن تهامة - كدار نشر وتوزيع - هي إضافة جيدة للوطن.. وليست تهمة يمكن أن توجه لي.. أو لأي مسؤول في تهامة (ضاحكاً) ويا سيدي فليعطونا اسم كتاب رديء. لقد نشرت في زمني لأحسن الكتَّاب، وأتحت الفرصة لجميع الشرائح في المجتمع. إني أطلب من هؤلاء إعطائي عنواناً واحداً يقولون لي فيه هذا كتاب رديء وغير جدير بالنشر. أنا أعتز بأني نشرت لمحمد عمر توفيق، وعزيز ضياء، وحمزة شحاتة، وغازي القصيبي، وأحمد قنديل، وأحمد عبد الغفور عطار، أحمد السباعي، ومحمد حسين زيدان، وأحمد محمد جمال، ومحمد على مغربي، وطاهر زمخشري..إلخ. وتستطيع أن تورد ما تشاء من أسماء ممن نشرت لهم وستجدها ناصعة جديرة بالنشر ومحكمة البيان. فليعطوني اسم كتاب رديء واحد قمت بنشره حتى أعتذر عنه أو أدفع قيمة طباعته.!

*****

ليسوا كتاباً مبتدئين

س: ولكن يقال أيضاً بأنك قمت بنشر أعمال أصدقائك ورفاق دربك من الرعيل الأول كعصام خوقير والجفري وغيرهما؟

ج: وهل هؤلاء كتاب مبتدئون؟.. على العكس، إن كاتباً مثل عبد الله الجفري تسعى إلى نشر كتبه دور نشر عربية في أكثر من بلد عربي.

س: بعضهم يتساءل بخبث عما قدمه محمد سعيد طيب للثقافة الوطنية من خلال عمله كرئيس لمجلس إدارة تهامة والشركات المنبثقة عنها زمناً طويلاً؟

ج: ببساطة محمد سعيد طيب نشر ما لا يقل عن خمس مئة عنوان توزعت بين كتب للأطفال وللناشئين ولكبار الأدباء والكتاب وكذلك الكتاب، الجامعي والرسائل الجامعية.

كما أنشأ شبكة مكتبات لا تقل عن خمسين مكتبة في معظم مدن الوطن لإتاحة المواد الثقافية المتنوعة واستورد ما يزيد عن مليون كتاب وأتاحها للناس.. وشارك في معظم معارض الكتب في الوطن العربي - بما فيها الجزائر وصنعاء.!!

*****

غلطة ندمت عليها

س: يعزى إليك كتابة "الكتاب السعودي" عندما كنت في تهامة. وهذه إحدى تناقضاتك التي تصطدم مع دعوتك المناهضة "للإقليمية". ألا ترى أن عبارة "الكتاب السعودي" حدّت من انتشار الكتاب السعودي في الخارج من خلال تصنيف ضيق ينطلق من إقليمية لا تعترف بها الثقافة؟

obeikandl.com

ج: أعترف بأنها غلطة ندمت عليها كثيراً، وأعترف بأنها كانت من أسباب إعاقة انتشار الكتاب السعودي.

س: هناك اتهام موجه لك ويقول بأنك استفدت من منصبك في تهامة مالياً، كما قمت بتعيين بعض أقاربك فيها ببعض مناطق المملكة. كيف ترد على مثل هذا الاتهام؟

ج: هذا السؤال سبق وأجبت عليه عندما طرحته عليّ جريدة "الجزيرة" في إحدى اللقاءات معي، وكانت إجابتي:

بكل تواضع.. ومن غير أي ادعاء.. لقد قدمت لتهامة الكثير.!

وبكل العرفان المتوجّب.. لقد قدّمت لي الكثير.!

هذه الإجابة لست راضياً عنها.!

تصوّر.. لو قلت الحقيقة.!!

س: ثار سؤال هنا حول سحب معالي الشيخ حسين عرب مجموعته الشعرية الكاملة من تهامة وطبعه لها على حسابه الخاص. ما سبب ذلك؟

ج: الشيخ حسين لم يطلب من تهامة أن تطبع له، بل طلب منها توزيع ديوانه، وكان هو الناشر.

س: يُقال إنك امتنعت عن التعامل مع المجموعة طبعاً أو توزيعاً بسبب موقفك من الغذامي الذي كتب مقدمة مجموعة حسين عرب؟

ج: (مقاطعاً بشدة) لا لا لا. أنا لي موقف من الغذامي؟ على العكس الغذامي صديق شخصي حميم وواجهة ثقافية وعلمية مشرقة، والشيخ حسين عرب أيضاً صديق شخصي حميم ومن الرواد الأوائل. وليس ثمة من صلة بين الموضوعين على الإطلاق.

س: ما هو سر إعجابك بمحمد سرور الصبان؟

ج: في الحقيقة كنت وما أزال أرى في الشيخ الصبان شخصية فريدة ومتميزة ولا نظير لها، ولم تعط حقها من الدراسة والتحليل، وأن الله سبحانه وتعالى أعطاه من الصفات والمميزات ما لم يعطه لكثير، فهو يجمع بين الأديب ورجل الدولة والسياسي الداهية والوطني الغيور والاقتصادي المستنير ورجل العلاقات العامة.. كل هذه الصفات اجتمعت في شخصية واحدة، وهو شيء نادر، فضلاً عن حصافته وكياسته وأناقته ولياقته وكرمه وبعد نظره وحسن أدبه.

س: هل طبعت له شيئاً من كتبه؟

ج: لا.

س: هل يعود السبب، كما يقال، إلى أن موقفك منه في السابق والذي كان على نقيض ما قلته عن شخصه الآن؟

ج: لا. موقفي الأول من الشيخ الصبان كان في الستينيات، وقد انتقل الرجل إلى رحمة الله قبل إنشاء تهامة، فهو توفي سنة ١٣٩٠هـ وتهامة أنشئت بعد ذلك بخمس سنوات، فكيف تتخذ تهامة موقفاً من رجل مات منذ سنوات سابقة لإنشائها. أما أنا فموقفي من الصبان كان مرتبطاً بمرحلة الستينيات فقط، وهي مرحلة الشباب واندفاعات الشباب.. وهي الفترة التي كنا نسبح فيها ضد التيار، ونرتاد حقول الألغام.

س: وما الذي جعلك تغير موقفك من الرجل؟

ج: هو من فعل ذلك. بسماحته وخلقه الرفيع وبكبريائه الحقيقي. لقد كان كبيراً حقاً - بينما كنت.. شاباً طائشاً، وهذه هي الحقيقة.

س: إذاً لماذا لم توثق للرجل عندما كنت تدير تهامة، طالما أنك معجب بشخصه إلى هذا الحد؟

ج: يا سيدي ليس للشيخ الصبان سوى كتابي "المعرض" و"أدب الحجاز" وهما متاحين وليسا نادرين.

*****

الثلوثية

س: لننقل الحديث الى صالونك الشهير. هل نطمع بسرد مختصر عن "الثلوثية". فكرتها، بداياتها وروادها؟

ج: الثلوثية - كما هي متعارف عليها - هي محاولة لإحياء تقليد قديم درج عليه الأجداد والأباء في مكة المكرمة.. حيث كانوا يلتقون - كل ثلاثاء - من كل أسبوع، محاولين كسر حدة الرتابة، واللقاء بالأصدقاء بشكل منتظم. ونحن لم نستحدث شيئاً غير مسبوق، لأن الثلوثية هي مجلس يلتقي فيه الأصدقاء لتبادل الآراء بشكل غير مقنن أو مسبوق بجدول أعمال، وينفض الجميع إلى بيوتهم وكلام الليل يمحوه النهار.

*****

الثلوثية أصغر مما يتخيلوّن.!

س: في هذه المقدمة تبدو كما لو أنك تريد إقناعنا بمحدودية "الثلوثية" وأنها لا تعدو كونها مجلساً للأصدقاء. ونظرة واحدة لزوايا "الثلوثية" تشي بأسماء بارزة من التكنوقراط ورجال الأعمال والاقتصاد والإعلام، السؤال هل "الثلوثية" ترمومتر اجتماعي وسياسي يقوم بدور المستشار للدولة فيما يتعلق بهواجس وحراك المثقفين؟

ج: هذا الكلام فيه الكثير من المبالغة وعدم الدقة، وفيه تصوير للثلوثية بأكبر مما هي عليه وبأكثر ما تستحق. وأؤكد لك أنها ليست أكثر من مجلس مثل أي مجلس

آخر في أي مكان يلتقي فيه بعض الأصدقاء، وربما اختلط الأمر عند هؤلاء "البعض" بسبب أن أغلبية المترددين على الثلوثية هم من رجال الإعلام. وأعتقد أن هذا أعطاها ذلك الوهج المتضخم.

ولعلها مناسبة.. لأن أعيد وأكرر ما سبق أن قلته - في هذا الشأن - من أنكم تعطون هذه الصالونات.. أكثر مما تستحق.. وتحيطونها بهالة لا لزوم لها، وتطلبون - منها - دوراً لا نستطيع القيام به، وتأثيراً لا نملكه، وإسهاماً هي عاجزة عنه.

إن اهتمام روادها، أو مرتاديها بالشأن العام لا يتعدّى - في أحسن الأحوال - حدود المجلس.. وينصرف الجميع - بعدها - عائدين إلى بيوتهم.. ويتوقف الضجيج وتطفأ الأنوار.!!

وعلى سيرة كلمة "ترمومتر" إذا كان القصد من إيراد هذه الكلمة.. حسناً - كما أفترض - فمرحباً أن ينقل ما يدور إلى أصحاب القرار.. لأن هذه الشريحة من المواطنين.. هدفها الإصلاح ورائدها رفعة الوطن.!

س: بالمقابل ينظر البعض إلى صالون محمد سعيد طيب الثقافي "الثلوثية" على أنه وسيلة تلميع ذاتي لصاحبه. كيف ترى ذلك؟

ج: (ضاحكاً) إذا وقع؛ الادعاء بأن صاحب الثلوثية يسعى إلى تلميع ذاته، فالحقيقة تقول عكس ذلك لأنه ليس عاجزاً عن تلميع ذاته عبر وسائل أخرى أهميتها تفوق الثلوثية تأثيراً وجدوى. الثلوثية هي مجلس خاص.. كما أوضحت عشرات المرات.!!

*****

أنا مهتم بالشأن الثقافي

س: تتهم بأنك لم تقدم للساحة الثقافية شيئاً ذا أثر لا على صعيد الكتابة ولا من خلال عملك في الإعلان والنشر ولا من خلال صالونك الأدبي الذي لا يقدم - بحسب البعض - مشروعاً فكرياً واضحاً بل يكتفي بالمظهرية والترف الفكري؟

ج: أنا لم أزعم في يوم من الأيام ولا أسمح لأحد أن يزعم بأن للثلوثية منهاجاً معيناً تسير عليه، أو أن لديها مشروعاً تسعى لتحقيقه في المجتمع حتى تحارب عليه في يوم من الأيام. كما ذكرت أكثر من مرة - عبر العديد من الوسائل الإعلامية - فإن الثلوثية هي مجرد مجلس يجمع الأصدقاء ببعضهم ليتبادلوا الآراء فقط. هذه هي الحقيقة والادعاء بغير ذلك ليس صحيحاً.

أما ماذا قدمت.. فأنا كما سبق وذكرت لا أزعم أنني كاتب محترف.. لكي أقدم مؤلفات وكتباً يتحدث عنها الناس، كل ما في الأمر أنني شديد الاهتمام بالشأنين الثقافي والعام، وأزعم أنني قارئ جيد، وليس بالضرورة أن تنعكس هذه الاهتمامات بهيئة كتب أصدرها أو مؤلفات أقدمها للمجتمع، وحينما أتيحت لي الفرصة لأعمل موظفاً في تهامة سعيت إلى تأسيس أنشطة النشر والمكتبات والتوزيع، وأعتقد أنني أديت دوري بما أتيح لي - حينها - من إمكانات وضوء.

س: هنالك من يقول بأن الصالونات الثقافية عموماً وبصورة خاصة الثلوثية والإثنينية تتجنبان الاحتفاء بأسماء من الوسط الثقافي من تيار الحداثة. وثمة من يضيف بأن لك شخصياً تحفظات حول المسألة من حيث المبدأ، وآخرون يرون أنها سياسة الإمساك بالعصا من المنتصف. كيف ترى المسألة؟

ج: (ضاحكاً) ليس لي أي موقف من أحد. وهناك خطأ يجب تصحيحه وهو أن الثلوثية ليست كما الإثنينية. فإذا كانت الإثنينية تحتفي بشكل منتظم ومرتب برموز معينة.. فإن ذلك ليس من شأن الثلوثية في شيء.. لأن الثلوثية لا تفعل ذلك، وعلى ضوء ذلك فليفهم الجميع أنه لا موقف لديّ من الحداثة أو من غيرها.

*****

بعض السلفيين أصدقائي

س: صداقات محمد سعيد طيب متعددة، وهي تحتوي في إطارها الواسع ألوان الطيف الثقافي والسياسي في دنيا العرب، إلا أن الملاحظ أنها تبتعد عن التيار الديني أو السلفي تحديداً. لماذا؟

ج: على العكس، لديّ عدة صداقات من هؤلاء. وإن كنت تقصد انضمامهم للثلوثية فلكل شخص ظروفه. أما صداقاتي مع أهل التيار الديني والسلفي فهي كثيرة وأعتز بها، وأخشى أن أسبب بعض الإحراج إن أوردت بعض الأسماء.

س: وليس لك أي موقف من التيار السلفي تحديداً؟

ج: ليس ثمة مواقف خاصة على الإطلاق.!

دعني أوضح أكثر.. إذا كان هذا التيار تشغله القضايا الكبرى في هذا الوطن.. وتحتل المساحة الكافية في ضميره ووجدانه.. فأنا معه..

خذ مثلاً.. قضية البطالة.. أو الدين العام.. أو قضايا التلوث وصحة البيئة.. أو تدهور بعض الخدمات.. وتراجع نوعياتها ومسؤولياتها.. وإهدار بعض الموارد فيما لا طائل من ورائه.. أو مخاطر شح المياه.. أو التكاثر غير المبرر.. أو الاختناقات المرورية في معظم المدن، أو مشكلات التربية والتعليم ومشكلات الشباب.. أو العجز في تلبية الحاجات الأساسية لبعض فئات المجتمع إلى آخر أمثال هذه القضايا.. حتى المطل في الوفاء بالديون أعتبره من القضايا الكبرى.. التي ينبغي التصدّي لها.. وتنوير المجتمع بمخاطرها وتأثيراتها السلبية المدمّرة للعلاقات والوشائج.!

أما الأمور والمسائل السطحية أو الصغيرة.. فأنا غير مهتم بها.. ولا تدخل في اهتماماتي.!

س: المنتديات الثقافية الخاصة - كالثلوثية مثلاً - ما هي دواعي وجودها في تقديرك؟ وألا ترى أن ما يجدر بها تقديمه من ثقافة وتنوير تقوم به الأندية الأدبية المتعارف عليه بالمملكة؟ ثم ألا تعتقد أن مثل هذه المنتديات الخاصة عملت من خلال أدوارها على مزاحمة تلك الأندية وإضعافها؟

ج: لا على الإطلاق. لم ولن تكون بديلاً عن الأندية الأدبية والعكس صحيح. فكلا الاتجاهين له وظيفة محددة وكلاهما يكمل الآخر. النادي الأدبي له سياسات مرسومة وأهداف يسعى إلى تحقيقها، والمجلس عكس ذلك تماماً.

س: وفي رأيك هل تعتقد أن الأندية الأدبية بالمملكة قامت بأدوارها المناطة بها؟

ج: لا. لكنني آمل أن يتسنى لها ذلك. ولقد أسهمت النوادي الأدبية - إلى حد ما - في تشجيع الكثير من المؤلفين والكتّاب والأدباء.. وعملت على نشر مؤلفاتهم، هذا عمل إيجابي - لكن ذلك لا يمثل الوظيفة الرئيسة التي أنشئت - من أجلها - الأندية الأدبية.. لأن فكرة الأندية أنها حركة ثقافية ومجتمعية كاملة.. وأحد مؤسسات المجتمع المدني.. وأعتقد أن ما حدث في تلك الليلة عن الشيخ الصبان.. حيث تم تكريمه بالنادي الأدبي بجدة مؤخراً كان عملاً طيباً وبالغ الجودة والجدة، وآمل أن يتكرر مثل هذا الحدث مع بقية الرموز الأخرى التي أثّرت على الساحة الثقافية والفكرية بالكثير المفيد.

*****

الحرج له أسبابه

س: ما هي بتقديرك أبرز العوائق التي تقف أمام هذه الأندية وتحول بينها وبين تحقيق أهدافها الكبرى؟ وهل تعتقد أنها تحتاج في سبيل ذلك إلى دماء جديدة أكثر نشاطاً وحيوية؟

ج: نعم، المسألة فيها شيء من الحرج، لكن حرجي ليس في احتمال إغضابي أحداً ما - بقدر ما أنني أحاول أن أتجنب الخطأ، فلو قلت مؤكداً أن الأندية الأدبية

تحتاج إلى دماء شبابية فأخشى أن هؤلاء الشباب لا يستطيعون تقديم شيء مفيد ومجد.. وأتصور أن شخصاً مثل الأستاذ/ عبد الفتاح أبو مدين قدم الكثير واجتهد وتعب، وكنت قريباً منه.. إلى حد ما.. وألاحظ مجهوده - لكني أنظر أيضاً إلى المرجعية. وينبغي إعطاء الأندية الأدبية استقلالها التام في المرحلة القادمة. متى نفهم أن الزمان قد استدار.!!

س: أنت الآن تخشى ألا يأتي رجل بقامة عبد الفتاح أبو مدين ليفعّل أدوار النادي. ألا يبدو ذلك متناقضاً (مرة أخرى وثالثه) مع ما يمكن أن يقدمه آخرون في مجالات أخرى؟

ج: ذكرت لك سابقاً أنني لا أريد أن أخطئ. قلت لك إن الحل الأمثل ربما يكون في إعطاء هذه النوادي استقلاليتها الكاملة، وبمعنى أوضح خصخصة النوادي. والخصخصة كما أعنيها هي إنهاء مرجعية الرئاسة العامة لرعاية الشباب. أو لنقل إنهاء المرجعية الرسمية ليقوم كل نادٍ بعد ذلك باختيار أعضائه ويجمع منهم رسوماً سنوية تشعرهم بالانتماء. ولا بأس أن تكون هنالك معونات أو هبات من الدولة كإعطاء مقر أو تسديد فواتير الكهرباء أو شيء من هذا القبيل. لكن لابد من الاستقلالية. وأن يكون لكل نادٍ إدارة منتخبة بواسطة الأعضاء المنتسبين للنادي.

س: كيف يمكن بلورة هذه المنتديات الخاصة بالتفاعل الإيجابي مع أصحاب القرار؟

ج: لقد سعينا أن يكون هناك تفاعل بيننا وبين أصحاب القرار، وقد تفضّل بعضهم فقاموا بتشريفنا في مجلسنا المحدود.. وجرت بعض الحوارات بيننا وبينهم، وهذا شيء إيجابي بتقديري، فالحوار يجب أن يكون دائماً ومستمراً ومتصلاً؛ لأن من خلاله تتولد الأفكار، ومن خلاله - أيضاً - يدرك صاحب القرار نبض الناس وكيفية تفكيرهم ونوع هذا التفكير، وبالمقابل يتعرف الناس على ظروف صاحب القرار ولصاحب القرار ظروف - بطبيعة الحال - نحن لا نراها ولا ندركها ربما، كما أن له أولويات يراها هو وتحتم عليه إغفال جوانب أخرى. إذن، هذه المجالس

لها دورها الإيجابي.. لكن هذا لا يحدث في مجتمع مدني متكامل المؤسسات.. فاليابان - مثلاً - ليس بها "ثلوثية" ولا يحتاج إليها.!!

س: ما هي قصة "البليلة" و"الكربّو" اللتين تحرص على حضورها في الثلوثية. هل الأمر يتعلق بـ"الإقليمية"؟ ولماذا لا تكرم الحضور بعشاء "ولو دجاجا"؟ هل هو بخل منك كما يشاع أم أن الحاضرين "لا يستحقون"؟

ج: (ضاحكاً) لست بخيلاً ولا جباناً. لكن الحقيقة، وهذه نصيحة وصلتني من كثير من الزملاء بأن الطعام في المجالس سيؤدي إلى إفساد جو المجلس، ومن ناحية أخرى سيتسبب في إحداث حرج مع كثير من الناس، كأن يقال لأحدهم "أنت جاي عشان تأكل؟" فلا يأتي فنحرم منه؛ لذلك رأينا أن نظل بسطاء ونقدم القدر الضروري من الطعام، والذي لا يحدث أي نوع من الارتباك أو من التشويش، مثل التمر أو البليلة أو الفاكهة. شيء بسيط، ثم نعتبر أن هذا اليوم يوم استثنائي وضرب من الريجيم المستحب!

س: لكن يقال إن بعضهم يخرج بعد أجواء "الريجيم" هذه لكي يتعشى بعيداً عن مجلس الثلوثية؟

ج: (ضاحكاً) حسناً يا أخي، سنعمل على تدسيم الأمور إن شاء الله.!!

س: لا شك أن بشاشتك لضيوفك وكلماتك التلقائية النابعة من قلب لا يحمل الضغينة حقاً، تجعل الآخرين أسرى أخلاقك ونفسيتك الصادقة، لكننا نسأل، بالمقابل، هل عندما تدير دفة الحوار في الثلوثية، تقوم بتوجيه الحوار وفقاً لمزاجيتك واختيارك؟ وهل تتحرج أحياناً في إبداء رأيك الصريح بصفتك مضيفاً؟

ج: كل هذا صحيح. وأعترف بأنني أدير الحوار في الثلوثية - بعض الأحيان - وفقاً لمزاجيتي الخاصة، أو لدواعي المواءمة - كما يقولون.. كما أنني أتحاشى الخوض في بعض الموضوعات خشية من بعض الحساسيات.!

*****

ليس لنا برامج

س: كيف تختار ضيوفك في "الثلوثية"؟ هل ثمة برامج مسبقة أم أن الأمر يعود إلى ما تيسر به الظروف؟

ج: لا ليس هناك برنامج محدود، ذلك أن أهم ما تمتاز به "الثلوثية" أنها بلا برامج أو جداول أعمال أو صيغ مسبقة، إنها تسير بصورة تلقائية. وقد يأتي زمن يتفضل علينا فيه أحد الضيوف المهمين، فيحدث أن يثار معه حوار وحضور أكبر، هذا كل ما في الأمر - لكننا بلا برامج معدّة أو جدول أعمال مسبق.!

*****

مثقفون و أمير

س: دعني هنا أنتقل إلى مرحلة مهمة في مسيرتك كتاب "مثقفون وأمير"، بودي لو شرحت للقراء أسباب تأليفك هذا الكتاب؟

ج: كانت لدي مجموعة من الطروحات التي أحببت مناقشتها وطرحها مع القارئ، ولكنها كانت تحتاج إلى ما يناهز الثلاثين مقالاً، فآثرت أن أنحو بها منحىً آخر، كأن أتخيل عدداً من المثقفين في مجلس أحد الأمراء، وهو أمير متفتح الذهن وواسع الصدر، فيعطيهم حرية الكلام، و يبدأ المثقفون في مناقشة بعضهم في حضور هذا الأمير، و بمشاركته - إذا لزم الأمر -. ومن خلال هذا الحوار الذي يستمر- كما تخيلته من أول الليل إلى أذان الصبح - تتم مناقشة الكثير من قضايا الوطن و المجتمع.

بمعنى آخر، أردت استعراض وجهات نظر مختلفة، لشرائح مختلفة تمثل أكثر من تيار واحد.!

س: لكن ألا تعتقد أن التوقيت الذي ألفت فيه الكتاب كان غير موفق، خاصة و أنه تزامن مع حرب الخليج الثانية أو ربما بعدها بقليل؟

ج: الكتاب ألفته بعد الحرب و هو - بتقديري - الوقت الملائم لتأليفه.

س: لقد قمت بنقد المثقف في كتابك المعني. ما هو التعريف المناسب للمثقف في تقديرك؟ خاصة و أن تعريفاته كثيرة وربما كانت متضاربة في بعض الأحيان؟

ج: هذا السؤال يطرح دائماً، و أعتقد أن التمسك بتعريف حرفي للمثقف فيه الكثير من القيد. و إذا قلنا إن المثقف موقف وإن هذا الموقف يجب أن يكون في صف الحق و العدل و الخير و الجمال، لكأننا نقوم بتقديم رؤية تقرب لنا حقائق الأشياء. ولعل من أطرف التعريفات التي قرأتها في هذا الشأن ما يقال بأن المثقف هو الإنسان الذي يقوم بعمل غير مطلوب منه.. و كأني بالقائل يسعى لتأكيد عنصر المبادرة أو المبادءة.. والاهتمام بما يشغل الآخرين.!

س: يبدو أنك ترتاح لهذا التعريف؟

ج: نعم إلى حد كبير.

س: و كيف ينظر محمد سعيد طيب إلى دور المثقف تجاه مجتمعه وأمته؟ طالما أنه يقوم بعمل غير مطلوب منه أصلاً؟

ج: أعتقد أن الدور المرتجى من المثقف كبير جداً. و أعتقد أن المسؤولية الملقاة على كاهله أيضاً كبيرة جداً، و إذا كان مطلوباً من المجتمع أن يكرم المثقف و أن يضعه في صدر المجلس وأن يقربه من صاحب القرار، فإن على المثقف أن يضطلع بمسؤوليته، وأن ينهض بواجباته في هذا الشأن، وأولها التجرد قدر المستطاع من شخصيته وأنانيته ومصالحه الخاصة، وتكريس همه ووقته وجهده للشأن العام والمصلحة العليا للوطن، وأن تكون هذه المصلحة هي رائده وهدفه، وهي الغاية التي يسعى إليها.. أما ما نلاحظه في مواقف كثير من المثقفين فهو يتناقض تماماً مع ما نأمله في مثقفينا.

س: قلت مرة في إحدى اللقاءات المتلفزة معك ما معناه (إن على المثقف أن يواجه الناس بلون واحد و يجب عليه عدم التلون) حبذا لو شرحت لنا هذه العبارة.

ج: الذي أردت قوله هو أن لبعض المثقفين في المجالس العامة كلاماً وفي مجالس الأمير كلاماً آخر يختلف عن الأول، ومع الوزير لهم كلام مغاير للثاني، ومع الأصدقاء أيضاً يختلف كلامهم.. وهكذا.. فنجد أنفسنا إزاء متناقضات عجيبة. ولا أعتقد أن من يفعل هذا مثقف بأي حال، بل أعتقد أنه مهرج، فالمثقف يجب أن تكون له مواقف ثابتة وواضحة يكرس حياته لها، وقد يعدل فيها إذا كانت ثمة متغيرات موضوعية تقتضي ذلك، فليس مطلوباً من المثقف أن يكون متحجراً أو منغلقاً في نهاية المطاف، لكن ينبغي ألا يكون بهلواناً مهرجاً.. يبدل مواقفه آناء الليل وأطراف النهار.

س: أنا معك في أن بعضهم يستحق ما أطلقته عليه، ورأينا مثقفاً التقانا ثم نكص ورمانا بالكذب وبأقذع الألفاظ.. ولكني أعتقد أن ذلك يبقى نشازاً، أما أنت فقد قسوت على مثقفي البلد وقمت بتصنيفهم إلى عدد من التصنيفات في كتابك، هلا جليت لنا الصورة التي أردت؟.

ج: بصرف النظر عما جاء في الكتاب، كنت وما زلت أؤمن بأن دور المثقف كبير ومحوري تجاه قضايا التنمية الفكرية والمجتمعية والعمرانية أيضاً في أكثر من مكان، لكن هذا المعنى هنا هو المثقف الحق، صاحب المبدأ الأوحد واللون الأوحد والتوجه الأوحد.. وليس ذلك المثقف المتلون صاحب الآراء المتباينة. وأقول إن هذه الفئة من المثقفين قادرة على تغيير الكثير من الأشياء.. ويحزنني أن أجد استهانة من بعض الناس بأولئك المثقفين وازدراء واضحاً لهم.

س: الآن وبعد أن قمت بنقد المثقفين ومواقفهم والتي تتباين حسب مقاماتهم إن كانوا بحضرة أصحاب القرار أو حضرة بعضهم.. لكن في المقابل دعني أقول: لماذا ترضى أنت إذن بالمديح المكال لك في كثير من لقاءاتك المتلفزة وأثناء

تكريمك في إثينية عبد المقصود خوجة!! بل وصل الأمر بأحد أحبائك أنه قال إنك تكتب ما لا يكتبه الثقلان، وآخر يقول بأنك تتحدث بثقافة العقاد وبلاغة طه حسين، وأنت في كل ذلك صامت مسترخ، وتشارك في هذه المسرحية التي تناقض قيمك وما كرست حياتك له؟.

ج: (ضاحكاً).. والله يا أخي، لا يحزنني شيء قدر هذا المديح، الذي أعرف تماماً أنني لا أستحقه، ولا أقول هذا تواضعاً أو خداعاً، فأنا رجل أعرف قدر نفسي، أنا لست من عامة الناس، لكني لست العقاد ولا طه حسين، ولا هذا الذي يكيلون له المديح سواء في التلفاز أو في بعض الصحافة.. ولكنني أفسر الأمر - دوماً - بأنه عواطف كريمة ومشاعر نبيلة.. وأقدّر لأصحابها مشاعرهم - خاصة وأن كل الذين كالوا لي المديح هم أصدقاء وزملاء لا يريدون مني شيئاً ولا يتطلعون إلى شيء، وهم يعرفون أني لا أملك شيئاً لأقدمه لهم، لذلك لا أعتبرها إلا مشاعر كريمة ونبيلة ونقية أرجو أن أكون جديراً بعشرها فقط.

س: في كتابك (مثقفون و أمير) كثير من الجرأة في عرض ومناقشة قضايانا الوطنية، إلا أنه لم يكن متوقعاً من قيادة ثقافية واجتماعية بوزنك أن يكون مستوى معالجتها لهذه القضية أقرب إلى الأسلوب الصحفي السطحي، كيف تعلق على هذا الكلام؟

ج: نحن في الكتاب نجد أنفسنا إزاء عدة شخصيات.. وكل شخص من أولئك يتحدث انطلاقاً من مستواه الفكري والمعرفي، الأمير بمستواه وعالم الدين والتاجر والمثقف أيضاً، كل أولئك يتحدث انطلاقاً من مستواه.. ويعبّر عنه.. وطالما أننا بإزاء مستويات متعددة من الشخصيات فلا بد أن تكون بإزاء مستويات مختلفة من الأداء، ذلك أن الأداء لا يمكن أن يكون واحداً، فطبيعة العمل وتركيبة الكتاب لا يصح أن يكون الأداء فيها على مستوى واحد، فهو يعلو أحياناً ويهبط أحياناً أخرى طبقاً لمستوى الشخصيات المشاركة في الحوار.

س: هل كنت تنوي أن يكون الكتاب بمثابة رواية؟

ج: (مقاطعاً) لا، أبداً، وماً أردت أن أصعب الأمور على القارئ العادي، أنا أريد توصيل رسالة للناس وللمسؤولين لا غير.

س: لكنك في تصويرك للشخصية التي تمثل التيار الإسلامي أخفقت في رأيي، فلقد اختزلت التيار إلى مستوى ينبئ بأنك لا تعرفه إلا من خلال مشاهداتك القديمة للأفلام المصرية (المأذون و مدرس اللغة العربية) أو كأنك لا تعرفهم إلا من خلال بشكتك الأرستقراطية الصغيرة في منتداك، مما جعلت لنا الشيخ خلف يعترض دوماً ويقف ضد كل جديد، ويحوقل ويبسمل بل ويستعدي الأمير؟

ج: على العكس، الشيخ خلف ظهر في أكرم صورة وسدد ضربات متتالية لليبرالي أبو أحمد وقارعه الحجة بالحجة، بل أعتقد أن حجج الشيخ خلف كانت أقوى من حجج أبو أحمد الذي بدا انفعاليا أكثر من اللازم.

س: وموقفه الاعتراضي من كل جديد..؟!

ج: ألا تذكر قول الشيخ خلف: نحن لسنا ضد التقدم أو قوله: لقد كان المسلم يسافر إلى كل العالم الإسلامي - حتى بداية القرن - بلا تأشيرة أو جواز سفر أو إقامة.

س: عوداً إلى تلك الصورة، لا أدري ما سبب هذا الانطباع الذي خرجت به وقد قرأت الكتاب ثلاث مرات، ولأدع الإخوة الذين يعلقون على هذه المكاشفات أن يحكموا بيننا ولأسألك يا أبا الشيماء: ألست معي أن التيار الإسلامي ومنذ عشرين عاماً لم يعد الواعظ والفقيه ورجل الحسبة، بل إنهم هؤلاء حولك في كل مكان أطباء وأساتذة جامعات ومهندسون بل حتى من أقاربك..

ج: (مقاطعا) أتفق معك. وإن من بينهم كفايات جيدة ورموزاً كريمة.

س: إذن. ما الذي يمنعك من محاورتهم - بعمق أكثر- لتفهمهم بشكل أدق بدل أن تكتفي وأصدقاؤك بصورة نمطية جعلتك تصورهم تلك الصورة الساذجة السطحية في كتابك؟

ج: أنا أعترض على كلمتي (سطحية و ساذجة) وأعتقد أن أداء الشيخ (خلف) كان أداء جيداً وأفضل من أداء الليبرالي (أبو أحمد) وأن حججه كانت أقوى، وعلى كل حال هو كان مجرد نموذج لا أكثر ولا أقل، لكنني اعترفت لك بأن في هذا التيار رموزاً مضيئة وكريمة وواعية أكثر من الشيخ خلف بكثير.

س: ألا ترى أن الدعوة والتبشير بفكر ليبرالي اجتماعي أو ثقافي يتعارض مع خصوصياتنا الدينية والثقافية السعودية - ولعلك تعترض الآن على لفظة خصوصياتنا هذه - لكن السعودية رسمياً وشعبياً وتاريخياً وجغرافياً تستمد مشروعية وجودها من أنها هي النموذج للإسلام. ألا يتعارض ما تدعو إليه مع هذه الخصوصية والريادة ويهز أركانها وربما يتجه العالم الإسلام لينظر إلى هذه المشروعية في بلاد أخرى كإيران مثلاً؟

ج: أنا لم أبشر بشيء. كل ما فعلته أنني قد ألفت كتاباً قدمت فيه آراء مختلفة وتداولت فيه أيضاً قضايا مختلفة تهم المواطن في هذا البلد. أنا لم أقدم نظريات فلسفية ولم أرسم سياسات.. إنها مجرد قضايا حياتية ومعيشية كقضية الشورى والأقليات الموجودة في الوطن وكيفية معالجة وضعها وموضوع المرأة، لكنني كنت وما زلت وسأظل مؤمناً بأن هذا البلد قام على الإسلام، وسيظل الإسلام هو الأساس في كل شيء، ولن نتخلى عن هذا أبداً.

س: لكن من خلال قراءتي لكتابك تراءى لي أن نموذج شخصية (أبي أحمد الليبرالي) الذي يتحدث في مجلس الأمير تتقاطع أفكاره مع أفكار محمد سعيد طيب، إلى أي درجة كان هذا الإحساس صحيحاً؟

ج: لا. لا. (أبو أحمد) مجرد نموذج ربما يكون (أبو ناصر) هو الأقرب إلي وليس (أبو أحمد).

س: أسألك بصراحة ومن وحي الكتاب. ما الذي نكتسبه من أن نصبح مجرد تقليد باهت وأعرج لما عليه بقية العالم العربي من اختيارات حياتية لم تؤد إلى أي تقدم حقيقي.

ج: مثل ماذا؟

س: هل نحتذي مثلاً بمصر أو الأردن أو المغرب وحتى سوريا أو غيرهم في المجالات الحياتية والاجتماعية على وجه التحديد؟

ج: أنا مؤمن بأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنّى وجدها. وأنا لست مع الانكفاء والجمود.

س: هل تعتقد أن ثمة نموذجاً من العالم الإسلامي يجب أن يحتذى؟

ج: النموذج الماليزي - في تقديري - جدير بالتأمل، والحقيقة هو نموذج باهر، وأستغرب كيف لهذا البلد وفي سقف سنوات قلائل أن يصبح الناتج القومي فيه يفوق العالم العربي كله. إنه بلد ناهض و يسير بخطوات حثيثة نحو التقدم وهو متمسك بتقاليده. والمرأة فيه هي نموذج كريم للمرأة الإسلامية، لكنها ليست تلك المرأة المنغلقة أو العاطلة، إنها المرأة العاملة أو المنتجة والمساهمة في كل جوانب الحياة وتخصصاتها المختلفة، ويكفي أن أورد هذين الرقمين: إن صادرات ماليزيا تفوق السبعين مليار دولار، وصادرات مصر وهي أكبر دولة عربية لا تتعدى أربعة مليارات دولار، هذا لنعرف أين نحن وأين هم.

س: وبتقديرك ما هي أسباب هذه النهضة؟

ج: أنا شديد الإعجاب بهذه النهضة الماليزية، لكنني أكذب عليك وعلى القراء لو قلت لك بأنني أعرف حق المعرفة كيف تم ذلك، فأنا ما زرت يوماً ماليزيا، لكني سأفعل ذلك قريباً، وسأعمل على الوقوف على التجربة تماماً، وأن ألتقي ببعض الاختصاصيين - هناك - كي أتعرف على سر هذه المعجزة السريعة.

*****

دعاة التحرير

س: هناك اتهام يقول بأن القوميين ودعاة التحرير في بلادنا لا جذور لهم ولا أصالة، وأنهم منذ الخمسينيات الميلادية مجرد صدى أو ظل للتيارات الليبرالية والقومية العربية، والدليل أنه لا تاريخ يذكر لهم ولا نجاحاً اجتماعياً في أرض الواقع..

ج: هذه اتهامات لا أساس لها، فحكاية أن لا جذور ولا تاريخ هذا غير صحيح، فهم مواطنون كرماء وحريصون على وطنهم، ربما تكون لديهم رؤية مختلفة عن الآخرين.. لكن هذا لا يعني أنهم بلا تاريخ أو جذور. كما أن الأساس في القومية هو الوحدة العربية، وأعتقد أن الوحدة العربية ليست تلك التهمة التي يمكن أن توجه لأحد، ثم يقوم هذا الأخير بالمدافعة عن نفسه حيالها.. كل ما جناه هذا الفكر القومي في فترة الخمسينيات هو دعوته إلى الوحدة العربية، وإلى العدل الاجتماعي وربما اتخذ بعض المواقف المتطرفة آنذاك والتي سببت ضرراً للبعض، لكن الهدف يظل نبيلاً. وعلى هذا الأساس لا يصح اتهامهم بأنهم بلا جذور أو أنهم بلا تاريخ، إنهم مثل الآخرين ولا يقلون أهمية عنهم، ولا يقلون حباً للوطن عنهم.

س: ولكن يبقى السؤال ما الذي قدموه؟ و أزعم أن أكثرهم لا يمثل العمق الاجتماعي والثقافي لهذا البلد.

ج: ومن الذي يمثل هذا العمق الاجتماعي والثقافي؟

س: على الأقل يمكن أن أطرح مطمئناً وبشواهد التيار المحافظ والإسلامي منه تحديداً جواباً لسؤالك.

ج: أنا لا أعتقد أن التيار المحافظ يدعي احتكار الحق والحقيقة. ولا أعتقد أنه يزعم ذلك، ولا أعتقد أنه يعتبر نفسه - وحده دون غيره - الأمين على حاضر هذا الوطن ومستقبله أو أنه الوحيد الذي يتحقق التقدم على يده، نحن - جميعاً - شركاء في هذا الوطن؟

س: ولكن الحضور الاجتماعي لهؤلاء كثيف بالمقارنة مع حضور غيرهم خاصة وأن المحافظين يستمدون حضورهم من تراثنا وقيمنا الدينية.

ج: لا ننكر أن الأكثرية مع التيار المحافظ - لكن هذا لا يجب أن يعني - بحال - أنهم يملكون الحق كله، إن مسؤولية هذا الوطن.. مسؤولية الجميع.. جميع أبنائه.. بمختلف تياراته.. وإذا كان ثمة أفضلية فلمن يعطي - لهذا الوطن - أكثر.!!

س: المناهضون للمحافظة يقدمون - على سبيل المثال - نموذجاً للمرأة الجديدة التي يبشرون بها في شخص السيدة (ثريا عبيد).. أين يكمن نموذج المرأة السعودية الجديدة فيها - مع اعتزازي شخصياً بها وبطموحها - وخاصة عندما نعرف أنها درست وعاشت طفولتها بمصر بمدرسة إرسالية، وأكملت في أمريكا وقضت عمرها كله هناك، بمعنى آخر أنها لا صلة لها ببلدها ولا تحتكم إلى أي مساهمة اجتماعية حقيقية مع مجتمعها، فكيف تصبح ثريا عبيد نموذجاً للمرأة السعودية، ألا يعتبر ذلك قفزاً على واقع البيئة والبلد؟

ج: والله يؤسفني جداً مثل هذا النظر المتدني إلى السيدة الفاضلة (د. ثريا عبيد)، فهي مواطنة كريمة من هذا البلد، وليست أفاقة ولا دخيلة ولا طامعة، وأبوها شخصية معروفة جداً وكذلك أخوتها وأسرتها، أسرة عريقة ومعروفة، كما أن زوجها من أسرة عريقة ومعروفة وأصيلة يمكن نسبهم إلى الشرفاء. وأنا أعرف هذه السيدة الفاضلة - شخصياً - والتقيت بها، وأعتقد أنها إضافة حقيقية وجيدة للوطن، وأتمنى للمرأة السعودية أن تحتل مراكز مماثلة في الحياة الدولية كالمركز الذي احتلته السيدة ثريا، وأن يكون إسهامها متصلاً، والسيدة ثريا قضت ربع قرن تقريباً في هيئة الأمم المتحدة.. وهي ليست سيدة صغيرة أو غرة، بل هي أم وربة أسرة محافظة، وعالية التأهيل، وكنت أتصور أن يكون هنالك ترحيب أكبر بهذه السيدة، ترى ماذا كان يضير الأمم المتحدة إذا ما قلنا لها إننا نعتذر عن ترشيح السيدة ثريا عبيد لهذا المنصب؟ نحن الخاسرون بلا

شك، فالأمم المتحدة لن تخسر شيئاً وستأتي بغيرها، لكن على العكس، نحن نتطلع إلى أن نأخذ مواقع الصدارة على مستوى العالم. لماذا سعينا -أصلاً - للانضمام لهيئة الأمم المتحدة.. لنرسل "الشيك" بحصتنا المتوجبة في الميزانية.. أم ليكون لنا إسهامنا الإيجابي ومشاركتنا الفعالة؟!

س: لكن من الواضح أن موقع الدكتورة ثريا عبيد في وظيفة الأمم المتحدة له ملاحظات على مستوى الأديان الثلاثة لا يليق بامرأة سعودية.. وكذلك طريقة لبسها التي لا تمثل بأي حال من الأحوال المجتمع السعودي؟

ج: (مقاطعاً) السيدة ثريا صححت وقالت بأن كل ما صدر في مؤتمرات الإسكان هو مجرد توصيات قد تأخذ بها الحكومات وقد لا تأخذ. وأن ليس ثمة قرارات ملزمة.

ثم.. من الذي يعطي نفسه الحق.. ليقول: لا يليق.. أو لا يصح.. أو لا يجوز؟!

س: أليس الأجدر بها أن تكون ممثلة حقيقية للمرأة السعودية بارتدائها الحجاب مثلاً وتمثيلها التمثيل الواقعي الحقيقي؟

ج: هذه ناحية شخصية جداً ولا أريد أن أتطرق لها. وأعتقد أنه ليس من حق أي أحد أن يملي على الآخرين ما يلبسون. والسيدة ثريا - هي الآن - في العقد السادس من عمرها وهي متزوجة وأم ومن أسرة كريمة ولا أعتقد أن من حق أحد أن يملي عليها كيف تلبس أو كيف تسير في الطريق. وأنا شخصياً أعتقد أن لباسها محتشم وليس فيه ما يشين، والسيدة ثريا جديرة منا - جميعاً - بكل التقدير.!

*****

المرأة مقصّرة

س: مواقف محمد سعيد طيب من قضايا المرأة عادةً ما تنحو بك نحو العلمنة، دون وضع أي اعتبار لحقائق الواقع في الوطن أو لما جاء به الدين من حقوق لهذه المرأة.. كيف تفسر هذا التباين؟

ج: لا لا. على العكس تماماً. أنا أدرك ما جاء في الدين من حقائق ومن حقوق، بل وأطالب بها. وأعتقد أن اليوم الذي نعطي فيه المرأة حقها الذي أمر به الدين ونص عليه القرآن وجرت به السنة، إذا جاء ذلك اليوم.. والله العظيم: هي بخير ونحن بخير. لو أعطيناها ما أعطاها الإسلام لكانت بخير.. ولكان إسهامها أفضل وعطاؤها أحسن.. ودورها أكثر إيجابية وفاعلية.

س: وما هي العوائق التي تمنعها من أخذ هذه الحقوق في تقديرك؟

ج: أعتقد أن المجتمع مقصّر تجاهها.. وكذلك المرأة - نفسها - مقصّرة، وكأنها تطلب منا أن نخوض المعركة بالإنابة عنها. ولا أعتقد أن أحداً يريد خوض المعركة إنابة عنها، لكن أن يخوضها معها فهذا ممكن.

س: أعود مرة أخرى إلى "مثقفون وأمير" تقولون في الكتاب نفسه بأن خمس سنوات سوف تكون كافية لكي نرى المرأة تقود السيارة. والآن مر عقد ونيف ولم يحدث أن قادت المرأة سيارتها بنفسها. ألا يدل هذا على أنك وقعت فيما اعترف به الدكتور السريحي من عدم تقدير حجم وقوة الشريحة المحافظة في المجتمع.. أم أن الأمر يتعلق بخطأ ما لديك في قراءة تفاصيل حركة هذا المجتمع؟

ج: على ضوء المعطيات التي توفرت لدي في ذلك الوقت.. أعترف بأن قراءاتي كانت متفائلة جداً - إذ لم أكن أحسب أن قوانين المجتمع هي الأقوى، وأن الركام.. أكبر من أن يزال في سنوات قليلة..!!

*****

لست خليجياً

س: أن تعترف بخطأ اقترفته في يوم من الأيام شيء طيب، مع أن كثيرين ينعتون شخصيتك بالـ "مغرورة" والـ "متعالية".. ودليلهم على ذلك رفضك أن تسمى بمثقف خليجي أو حتى مواطن خليجي؟

ج: أنا أرفض أن أسمى "مثقف خليجي" لما في ذلك من إيماءات إقليمية لا أستسيغها، وأنا ضد الإقليمية وأحاربها طوال عمري، ووصفي بأنني مثقف خليجي هو جزء من هذه الإقليمية وترسيخ وتكريس لها، أنا وطني.. وعروبي، إذاً، أنا لست خليجياً.

س: لكنك قلت مرة في إحدى لقاءاتك التلفزيونية أنك ترفض صفة المثقف الخليجي بحجة أنك سعودي لا غير، وأنك تتباهى بهذه الحجة وتعتبر إطلاق صفة مثقف سعودي أشرف لك من صفة المثقف الخليجي؟

ج: (مقاطعاً) ما زلت أعتقد ذلك، أنا أرفض أن أسمى خليجياً. كنت وما زلت وسأظل على اعتقادي، وأحسب أن "الخليجية" هي تكريس للتجزئة، وأنا ضد التجزئة في الأساس، أنا - كما قلت لك - وطني.. وأنا عروبي.. وحدوي.!

س: بوصفك أحد الشهود على الطفرة التي شهدها مجتمعنا، كيف تقيم لنا، وللأجيال اللاحقة، ما أفرزته هذه الحقبة التي مرت كالطيف؟

ج: في الحقيقة هي لم تمر كالطيف - بل كالعاصفة أو كالحلم المزعج أو.. سمّها ما شئت. أقول ذلك لأن ضررها كان أكثر من نفعها. وأنا أزعم أنني أحد شهود تلك المرحلة، لكنني أجد نفسي حزيناً لهذا الجيل الذي نشأ في زمن الطفرة ومظاهرها الزائفة، ثم صحا اليوم على نتائجها المؤسفة. لكن الزمان مضى.. والماضي لا يتجدد وعقارب الساعة لا تعود إلى الوراء.!

أبناء هذا الجيل هم ضحايا وليسوا جناة، إنهم ضحايا تلك الفترة بكل ما اعتورها من تزييف وادعاء ومن تنفج - إن صح التعبير - واستعلاء على الآخرين غير مبرر.. وما إلى ذلك من شيوع مفاهيم سيئة.. وغاية في الرداءة والقبح.!

*****

عاصفة الطفرة

س: ولكن ألا تتفق معي أنه لولا الطفرة لما استطعنا تشييد كل ما نحن عليه الآن من بنى تحتية لاشك أنها أسهمت في ولوجنا في بوتقة الأمم الصاعدة؟

ج: (مقاطعاً) فلنفرق - طال عمرك - بين بنى تحتية كان ينبغي أن تبنى، ومطارات ينبغي أن تنشأ، وموانيء ينبغي أن تقام، وبين أسلوب حياتنا، ومسلكنا العام والخاص على السواء، وتربيتنا لأبنائنا حلاً وترحالاً. يجب أن نفرق بين هذا وذاك. وأنا، حقيقة، معجب ببعض الأسر الكريمة التي استعلت على الطفرة فما هزمتهم ولا جرفتهم إلى مظاهرها، بل ولم يتأثروا بكل السلبيات التي أتت بها الطفرة.. وهي ركام هائل لا يستهان به.!!

س: الآن ونحن قد دخلنا في أتون القرن الحادي والعشرين، كيف تقرأ مستقبل أجيالنا الناهضة وماذا تتمنى لها؟

ج: قراءتي ربما لن تكون متفائلة، ذلك أن أمامنا الكثير من الأشياء التي ينبغي أن نعملها ونفرغ منها وإلا فإن المستقبل سيكون محفوفاً بالمخاطر.

س: ولماذا كل هذا التشاؤم؟

ج: ببساطة لأن لدينا عدداً من المشكلات الكبيرة التي تنتظر الحل، كمصادر المياه، وصحة البيئة، وتكدّس القطاع العام، والبطالة، والزيادة المضطردة في التناسل، صحيح أنه صلى الله عليه وسلم يقول: «تناسلوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة». بمن سيتباهى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؟.. بغثاء.. كغثاء السيل.. هل بمثل هؤلاء يتباهى رسول أو نبي أو حتى رئيس دولة؟

الحقيقة، نحن لدينا مشكلات كبرى يجب أن نتصدى لها - بكل جدية.. وبأعلى درجات الاهتمام والمسؤولية وإلا فإن المستقبل سيكون محفوفاً بالمخاطر كما قلت لك. وأعتقد أن التفاؤل المفرط حيال واقعنا بلاهة.. ينبغي أن نتخلص منها.

عندك - في الواقع - أكثر من خمسة ملايين طالب وطالبة على مقاعد الدراسة في المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز التدريب أغمض عينك.. وافتحها.!! هؤلاء - جميعاً - بمضي بضعة أعوام.. نحن ملتزمون تجاههم بإيجاد فرص عمل.. وسكن.. ومياه.. إلخ.

إذن.. نحن - كما قلت لك - إزاء قضايا ومشكلات كبرى.. لا يجب الاستهانة بها أو التغاضي عنها.. كالبطالة.. وشح المياه.. ومشكلات البيئة والتلوث وارتفاع نسبة التصحّر.. وزحمة المدن واختناقات السير وتزايد الضغط على الخدمات الاجتماعية من صحية وتعليمية وسكنية، والمشاركة المحدودة للمرأة في عملية التنمية الوطنية.. وازدياد معدلات الجريمة.. والديون.. وانخفاض نسبة الدخل والادخار.. إلخ.

*****

أبو الشيماء

س: لماذا تكنى بأبي الشيماء وليس بأبي ناصر - ابنك الأكبر- خاصة وأن تقاليدنا المتوارثة درجت على إطلاق الكنية باسم الابن الذكر البكر إن وجد. هل لأن الشيماء أخذت قلبك كله أم يعود ذلك إلى موقفك من المرأة باعتبارك أحد أنصارها؟ أو لعل مرد ذلك خوفك من التصنيف؟

ج: (ضاحكا) دعني أجيب عن السؤال من الآخر، إذا كان كنايتي بأبي الشيماء مرده خوفي من التصنيف في حال كنيت بأبي ناصر، لما كنت قد أقدمت على إطلاق اسم ناصر على أحد أبنائي من الأساس، إذن خوفي من التصنيف غير وارد ألبتة. أما تمسكي بكنيتي "أبي الشيماء" فله منطلقات عدة أولها: أن الإسلام له ألف وأربع مئة سنة، وهو - أي الإسلام - لا يبيح لي أن أنتزع من الشيماء هذا الحق الذي أخذته كونها أكبر من ولد لي. أما كونها بنتاً وامرأة فإن ذلك يجعلني أكثر تمسكاً بالكنية لما في ذلك من إيماءات.. لا تخفى على فطنتك وقرائك الكرام.

*****

الناصرية

س: دعنا نفتح معك الآن ملف الناصرية التي انتميت إليها. ونسألك إذا ما كانت الناصرية أيديولوجيا فكرية صميمة أم هي مجرد حنين إلى شخصية حملت سمات قيادية معينة في زمن من الأزمان؟

ج: أولاً القول بأن الناصرية هي أيديولوجيا فيه الكثير من تضخيم الأمور. الناصرية - في تقديري - هي شخص الرئيس جمال عبد الناصر بالدرجة الأولى، والمقصود مسلكه الشخصي، وقد كان هذا المسلك باهراً.. وخاصة في ذلك الوقت الذي ظهرت فيه.

بالإضافة إلى دعوته إلى الوحدة العربية.. وهي حلم الشباب - آنذاك - والتصدي للاستعمار والنفوذ الأجنبي والانحياز إلى الفقراء والطبقات المعدمة.!

إن الناصرية لم تكن نظرية. ولم يزعم الناصريون أنفسهم أن جمال عبد الناصر ترك نظرية.. وإنما هي تجربة في الحكم الوطني آتت ثمارها وأينعت وامتدت تأثيراتها إلى العالم الثالث قاطبة - باعتبارها النموذج لكل حركات التحرير السياسي والاقتصادي في العالم.

وفي المجمل كانت الناصرية خلاصة نضال وكفاح الشعب المصري والعربي من أجل الحرية والاستقلال..

باختصار شديد كانت تعبيراً صادقاً عما يعتمل في نفوس أبناء الشعب العربي من آمال ظلت محبوسة في صدورهم عقوداً طويلة، ومن هنا كان التجاوب الجماهيري العربي للإيقاع الناصري.

*****

الصهاينة فرحوا بموت عبد الناصر

س: حمل محمد سعيد طيب الناصرية، وهذا حقه وخياره ولا أحد ينكر عليه. لكن ثمة من يسأل عما إذا كانت الناصرية في جوهرها إقطاعية وملاّكة؟ وبالأحرى، كيف تفسر لنا كونك ملاّكاً وصاحب أراض.. وكونك فوق ذلك ناصرياً؟

ج: (مستغرباً) أنا ملاّك وصاحب أراض؟. إذا كانت عندي أراضٍ فلتأخذوها يا أخي. إذا كان لدي شبر من أرض فأنا (ضاحكاً) متبرع به لصحيفة "البلاد" - لكن عليّ أن أضيف شيئاً، أنا أحد القلائل الذين لم يأخذوا منحة. ولم أطلبها على الإطلاق.. إن العديد من أصدقائي وأقربائي يعتبرونها سذاجة غير مبررة.!

ثم من قال إن الناصرية ضد الملكية الفردية وضد أن يكون هناك ملاك على وجه الأرض.. الناصرية لم تكن ثورة أجراء أو فقراء ضد الأغنياء.. الناصرية كانت دعوة للعدل الاجتماعي والتصدي للظلم واستبداد الثروة والنظر إلى البشر بحسب حجم ممتلكاتهم.. وما في جيوبهم.!!

س: لماذا يتم ربط الناصرية بالتمرد على المشروع الصهيوني وشعار (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) مع أن فاتحة الاعتراف بالوجود الصهيوني على ٧٨٪ من أرض فلسطين قد بدأ معها، حيث كان عبد الناصر هو أول من اعترف بالقرار (٢٤٢) الذي شكّل مدخلاً لكل ما بعده من تنازلات سياسية؟

ج: ما من أحد تصدى للصهيونية كما فعل الرئيس عبدالناصر، وما من أحد أزعجها كما فعل الرئيس عبدالناصر. وما من أحد فرح في الدنيا بوفاة عبدالناصر مثلما فعل الصهاينة.. انظر حولك الآن ستجد الإعلام الصهيوني يقول عن كل من يرفع لواء المقاومة أنه ناصري.. حسن نصر الله زعيم المقاومة الإسلامية اتهمته صحافة الصهاينة بتقمص شخصية عبدالناصر.. كل المظاهرات التي تخرج ضد إسرائيل وأمريكا ترفع صور عبدالناصر.

*****

الناصريون ليسوا ملائكة

س: إذاً أنت تغفر لعبد الناصر نزاهته الشخصية مع وجود سلطة مدججة بالفساد كما عُرف في أثناء وجوده وكما ثبت لاحقاً بعد فتح ملف الحقبة الناصرية أيام السادات من أمثال المشير عبد الحكيم عامر وأفعالهم الفاسدة في تلك الحقبة؟

ج: يا أخي الكريم، ليس ثمة من يزعم بأن الناصريين هم مجموعة من الملائكة أو الأنبياء، إنهم بشر يسري عليهم ما يسري على البشر من خير وشر وخطأ وصواب، لكني أزعم أن الناصريين هم أقل الناس فساداً. أما عبد الحكيم عامر فهو فرد ضمن مجموعة. وهنالك العشرات بل والمئات من المسؤولين والوزراء والقادة يعيشون في مستوى بسيط جداً وكادوا يتكففون الناس، ولولا خشيتي من جرح مشاعر بعضهم لحددتهم لك بأسمائهم. إن أبطال الفساد.. والمعتدين على المال العام.. والمؤيدين لإسرائيل.. والذين كادوا أن ينجحوا في تدمير المجتمع المصري وإفساد الحياة الاجتماعية والسياسية معروفون.!

ولولا أصالة الشعب المصري.. ووعيه وتماسكه وصلابته وإيمانه ببلده وعروبته.. لكانت الخسارة أكبر وأفدح.!

س: هنالك فهم - ربما يكون مغلوطاً - يقول بأن الناصرية هي تبشير بالاشتراكية استناداً لعدد من أدبياتها وأفعالها على أرض الواقع.. الآن وبعد سقوط الأيديولوجية الاشتراكية.. أين تقف الناصرية اليوم على صعيد الفكر المؤدلج عالمياً؟

ج: الناصرية ليست تبشيراً بالاشتراكية وإنما هي محاولة لتوطيد مبادئ العدل الاجتماعي وتحقيق ذلك. بمعنى آخر هي اجتهادات فكرية واجتماعية لفئة من الناس لتحقيق العدل وتكافؤ الفرص والتقارب بين الطبقات.. وقد تكون هذه الفئة قد تنكبت الطريق، لكن توجهاتهم كانت طيبة على وجه العموم.!

الناصرية كما قلت.. وكما وصفها الفيلسوف جمال حمدان - رحمه الله - كانت

الاستجابة الطبيعية لكل أحلام وتطلعات الشعب المصري والعربي، إنها النقطة التي كان لابد من وضعها مع نهاية سطر الكفاح والتضحية من أجل غد عربي مشرق.

س: ولكن ألا تعتقد أن المرجعية الاشتراكية تتناقض في مجملها مع المرجعية الإسلامية التي تشكل الضمير الجمعي للأمة؟ وما هو موقف الناصريين الحاليين من هذه المرجعية (الإسلامية) ومسألة تطبيق الشريعة، إذا علمنا أن ثمة تقاطعات بائنة بين الناصرية والاشتراكية؟

ج: بعضهم لا يرى ثمة تناقض بين الناصرية والإسلام. وباستثناء التناقض الذي حصل بين الناصريين والإخوان المسلمين في مصر وهو تناقض مؤسف حقاً - فإن الناصرية خدمت الحركة الإسلامية - هناك - كثيراً.. ومن خلال عدد من المظاهر كنشر الكتب أو إيفاد البعوث الإسلامية أو تطوير الأزهر وتحويله من مجرد جامع إلى مؤسسة تعليمية عالمية.. الناصرية - يا أخي - مشروع للنهوض بالوطن والمواطن تأسيساً على المكونات الروحية والقيمية للفرد.. والبعد الإسلامي لم يكن غائباً عن الفكر الناصري.. بدليل أن عبد الناصر حين تآلبت الدنيا ضده في حرب السويس لجأ إلى الأزهر ليخطب من منبره لحشد الأمة وقد كان.!

إن واحداً مثل الشيخ/ الشعراوي - رحمه الله - قضى عمره يهاجم عبد الناصر وموقفه من الدين وقبل رحيل الشعراوي كان اعترافه الجريء والشجاع.. بأن عبد الناصر قد قدّم خدمات كبيرة للإسلام.

*****

ضد القومية ومعها

س: في مكاشفاتنا مع الدكتور تركي الحمد، اعترف لنا بأنه تراجع عن كثير من شعارات "القومية" مرجعاً السبب إلى "أدلجتها".. كيف ينظر محمد سعيد طيب للأمر؟

ج: إذا جاز لي أن أختصر القومية وأعتبر فلسفتها هي "الوحدة العربية".. فأنا مع

القومية، بمعنى كونها السبيل الأمثل لإيجاد كيان عربي موحد تلتقي فيه المصالح المشتركة لمناهضة المشروع الصهيوني.. فأنا مع القومية بلا جدال. أما إذا تمثلت القومية في كونها مناهضة للدين بلا مبرر.. فأنا ضدها.

س: مسألة "الوحدة العربية" هي واحدة من أكبر شعارات القومية على مر الأزمان لدى الدول العربية.. ألا ترى معي أن مثل هذه الشعارات التي أماطت عن لثامها في الستينيات قد سقطت بعد هزيمة ١٩٦٧ وما عاد كثيرون يقتنعون بها؟

ج: بلا شك، كانت هزيمة ١٩٦٧ خسارة كبرى وحدثاً جللاً.. وكان ينبغي إعادة النظر في كثير من هذه الشعارات.. أعترف بذلك.. لكن تظل الوحدة مطلباً.. وحلماً ليس مستحيلاً إن شاء الله.!!

*****

مذمة المثقف العربي

س: هذا الاعتراف الأخير يقودني إلى القول بأن أكثر قوميي الأمس بل وأشدهم مثالية يعيشون اليوم حياتهم بيننا طولاً وعرضاً في تعايش مصلحي فاضح مع من كانوا يذمونهم بالأمس، وفي حياة استهلاكية بذخية وترفيهية إلى أقصى ما يفعله البرجوازيون كما كانوا يقولون. أليس هذا تناقضاً قاتلاً للفكرة القومية برمتها؟

ج: نعم.. ما أشرت إليه.. صحيح.. وهذه الشريحة المذمومة السيئة - التي ألمحت إليها في سؤالك - ليست خاصة بالقوميين فقط دون غيرهم، ذلك أنها تشمل شريحة كبيرة جداً من المثقفين العرب بكافة توجهاتهم وألوان طيفهم السياسي، ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة جداً من خلال طريقة انحياز هؤلاء إلى مصالحهم الذاتية الخاصة، وكذلك من خلال البهرج والظهور الإعلامي في الملتقيات الفكرية والأدبية والثقافية هنا وهناك، لا لشيء سوى للإقامة في فندق مريح مع حفاوة زائفة من هذا وذاك.. كما يحدث في مهرجان الجنادرية مثلاً. بعضهم ينسى أو يتناسى حتى الكتب التي قام بعض الجادين بإهدائها إليه.. يتركها في غرفته بالفندق.

س: وإلى ماذا يرجع هذا النكوص بتقديرك.. هل للهزيمة النفسية دور في ذلك؟

ج: بلا شك نعم، ولكن عدم صلابة المثقف لها السبب الأول والمباشر.. وتخليه عن مبادئه.. والتفريط فيما ينبغي عدم التفريط فيه - مهما كانت المغريات.. فالمثقف الحقيقي الوطني هو الذي لا يتخلى عن مبادئه ولا ينحاز إلى مصالحه الذاتية مهما أحاطت به النكبات والعثرات، لكن هؤلاء الذين نكصوا مشكوك حتى في اعتبارهم مثقفين.

*****

الوحدة الأوروبية نموذج باهر

س: المشروع القومي الناصري يلتقي مع المشروع البعثي فيما يتعلق بمسألة الوحدة العربية. على ضوء هذا الالتقاء ما هو الجديد الذي يمكن أن تضيفه الناصرية إلى البعث.. هل هو العنف وتنفيذ الانقلابات لتحقيق الوحدة عنوة كما أوضحت لنا تجارب تاريخية ما زالت أصداؤها تتردد؟

ج: أسلّم بأن كثيراً من الوسائل التي كانت تتخذ لتحقيق هدف الوحدة لم تكن وسائل سليمة ولا مناسبة، لكن الهدف يظل نبيلاً وهو ينحو إلى توحيد الأقطار العربية وإنجاز مشروعاتها الكبرى ومصالحها المشتركة. وأعتقد أن الزمن قام بتعليمنا أن ثمة وسائل أخرى كفيلة بتحقيق هذا الهدف، وأن التجارب الأخرى للشعوب الأكثر تقدماً كتجربة الوحدة الأوروبية تتيح لنا درجة من الوضوح والواقعية لكيفية تحقيق الوحدة.. أنا الآن - وبعد كل هذا المشوار الطويل - أجد نفسي أميل للاقتداء بتجربة الوحدة الأوروبية وبالسوق الأوروبية المشتركة بالذات، لأن تحقيق السوق يعني تحقيق الوحدة.. وقد كان.

س: إذاً أنت ما تزال متمسكاً بحلم الوحدة العربية؟

ج: طبعاً طبعاً. وهو ليس حلماً بل ضرورة.

*****

"وتأبى الرماح إذا اجتمعن تكسّراً.!"
على قدر أهل العزم

س: ألا يتنافى هذا مع مفاهيم العولمة والدولة القطرية التي أصبحت قاسماً مشتركاً لكل المصالح بين جميع التكونات الإقليمية في عالم اليوم؟

ج: هذا لا يتنافى مع العولمة أبداً.

س: دعني أوضح لك السؤال، القوميون من يومهم اشتراكيون، والعولمة على النقيض، وهم وحدويون مما يتنافى مع دولة المصلحة القطرية، وعرقيون بعكس أممية العولمة. أليس ما يفعله - أو يحلمه - القوميون هو مجرد محاولة للبقاء لا أكثر؟

ج: لا.. انظر، الاشتراكية بالمنهج المعروف في تجربة الاتحاد السوفييتي سابقاً انتهت. أما التطلعات للعدل الاجتماعي.. فقد كانت وستظل حلم المثقفين في أي مكان. وأعتقد أن كثيراً من القوميين غيروا مواقفهم بما يتواءم مع متغيرات ومتطلبات المرحلة، أنا، مثلاً، مع أي محاولات جادة تفضي إلى الاقتداء بتجربة السوق الأوروبية المشتركة، ولا يمكن أن أدعو إلى أن ننعزل عن العالم أو ألا ندخل إلى منظمة التجارة العالمية.. وعدم دخولنا يعني أن ننعزل دون شك، إذن نحن مطلوب منا أن نشارك العالم تطلعاته نحو التقدم ونسهم - بدورنا - في ذلك ما استطعنا.. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

*****

اختزال شائه

س: ولكن ثمة من يتحدث عن خبو بريق القومية التي ألهبت حماس المثقفين في يوم من الأيام ثم ما لبثت أن تداعت الأحلام بعد هزيمة ١٩٦٧ . والمراهنة اليوم

تجري على أساس فكرتين لا ثالث لهما: الإسلام والليبرالية؛ أما القوميون فلا أثر لأي امتداد اجتماعي لهم؟

ج: هذا اختزال شائه للأمور، فالقول بأنه ليس في العالم اليوم إلا تياراً الإسلامي والليبرالي فيه الكثير من التبسيط وعدم الثقة. وقد يكون التيار القومي مسلماً وشديد الإيمان بالإسلام، وقد يكون ليبرالياً وغير متناقض مع التوجه الإسلامي. والقول بأن القوميين هم خارج الإسلام وبعيدون عن الليبرالية أيضاً فيه الكثير من الإجحاف.

س: لم أطمح بسؤالي الوصول إلى درجة تصنيف أن هذا مسلم وذاك غير مسلم، أنا أطرح السؤال من منطلق الأفكار: الإسلامية والليبرالية والقومية أيضاً. والآن، الفكر القومي اضمحل؟

ج: (مقاطعاً) نسلّم بأن التيارين السائدين في العالم العربي بالذات هما الإسلامي والليبرالي، لكني أعود فأؤكد بأن من يدعون بالقوميين قد يكونون مع هذا التيار أو يكونون مع الآخر.

*****

انقضاض أصحاب المال

س: وكيف يكون تعليقك حول انتخابات مجلس الشعب المصري التي كانت قد أثبتت اضمحلال الفكر القومي والمناصرين له، ذلك أن المصريين لم ينتخبوا أحداً من الناصريين، والشيء نفسه في انتخابات الكويت واليمن والأردن. ألا يعني هذا أن القومية صارت فكرة بائدة في العالم العربي؟

ج: لا. لا. إذا أردنا الحديث حول الانتخابات، أعود لأقول إن فيها أكثر من حديث. أنا مع الانتخابات ولست ضدها. لكني لا أخفي عليك، فقد أعلنت عن رأيي حول الانتخابات المصرية قبل نتائج الانتخابات في البرلمان المصري، وقلت إنني أخشى

من انقضاض أصحاب المال والتجار على مقاعد البرلمان.. وقد كان، فقد أثبتت النتائج أن شريحة كبيرة من هؤلاء انقضوا على المقاعد على حساب شرائح المثقفين.. والمهتمين - فعلاً - بالشأن الوطني. لكن وفي النهاية ينبغي أن نقبل نتائج اللعبة الديمقراطية.

س: إذاً، كيف تقبل بهذه الديمقراطية التي تقول، وهناك مؤثرات أخرى تؤثر عليها، كإمكانية فوز صاحب المال. ألا يبدو ذلك تناقضاً يجعلك تقبل بالشيء وتنافح طرائق الوصول إليه؟

ج: لا، أبداً. لأن ذلك - هو بالتأكيد - جزء لا يتجزأ من اللعبة الديمقراطية وقواعدها.

قد يقال إن الديمقراطية سيئة.. لكن أسوء منها غيابها.!

س: إذاً البديل الذي تطرحه غير فاعل مئة بالمئة لكي تحقق ما تريد؟

ج: دعني أقول لك شيئاً، لو نزلت أنا محمد سعيد طيب مرشحاً في انتخابات ما، مقابل أيهم من أبناء التجار في هذا البلد، سيفوز ابن التاجر وأخسر أنا. لكن هذه هي الديمقراطية ولا وسيلة لنا حينها غيرها. وفي بعض التطبيقات السياسية السائدة في العالم الثالث، تجد محاولات لإنشاء مجلسين، أحدهما منتخب والثاني يتم تعيينه، ولعل أقرب النماذج إلى هذا التطبيق تجده في التجربة البحرينية الجديدة، وقد روعي فيها اشتمالها على المجلس المنتخب والآخر المعين.. وهو يشبه - إلى حد - ما التجربة البريطانية ذات المجلسين العموم واللوردات، ومجلس اللوردات ليس مجلس "باشوات" كما قد يتبادر إلى الذهن - بل إنه مجلس اختصاصيين في كل التخصصات.. ونخب و (تكنوقراط).

وبتقديري فإن تجربة المجلسين تحقق التوازن المطلوب في المرحلة الحالية على الأقل.!

*****

الهدف النبيل

س: دعنا نعود مرة أخرى للمسألة القومية وأقول إن كثيراً من قوميي العالم العربي اليوم توجهوا إلى الليبرالية، على الأقل من خلال تناولهم للقضايا الثقافية والاجتماعية، ألا يدل هذا على أن القومية العربية هي مجرد قشرة للاغتراب العلماني بوجه سياسي؟

ج: لا.. لا. القومية العربية تقوم - بالدرجة الأولى - على مبدأ وحدة العالم العربي. وأعتقد أن الدعوة إلى الوحدة لا يمكن أن تكون مجرد قشرة.. أو نعرة سلبية أو مجالاً للإسقاط بأنها تشكّل دعوة علمانية. هذا كلام يُقال، لكن أهم مبادئ القومية العربية يتمثل في وحدة العالم العربي، وأعتقد أن هذا هدف نبيل وشريف.

س: لكن هذا الهدف النبيل والشريف تشترك في الدعوة والسعي إليه كثير من التيارات؟

ج: نعم، ما الذي يمنع؟ بل ينبغي أن يشتركوا في تحقيق هذا الهدف النبيل.

*****

القومية مستهدفة

س: ألستم، كما الاشتراكيين، سقطت نظرياتكم وأعطيتم الفرصة ورسبتم شعبياً. وإنكم اليوم لا تفعلون شيئاً سوى محاولة البقاء بين الناس أحياء حتى يأخذ الله وديعته؟

ج: (ضاحكاً).. لا شك أن الهجمة ضد القومية تتزايد كل يوم سواء من الصهيونية العالمية أو من الأمريكان أو التابعين لهم.. أو أي جهات أخرى ذات مآرب معروفة أو مصالح إقليمية ضيقة. لقد كانت هجمة قوية وغلابة بلا جدال.

والقوميون لم - يكونوا -كلهم على تلك الدرجة من الصلابة، مثلهم مثل غيرهم في تيار آخر فيه الجسور وفيه المتخاذل. كما أن العالم كله شهد ويشهد تغيرات، ونحن، مثلاً، بعد حرب الخليج.. كان حجم التغيرات عندنا هائلاً وغلاباً، سقطت أشياء كثيرة ونمت أشياء أخرى كثيرة ما كنا نتخيلها. هذا هو الواقع، وليس ثمة من شيء ثابت إلا وجه الله.

س: يعتبر الكثيرون أن استمرار الدعوة إلى القومية العربية دعوة مدانة وأن أصحابها مدانون أيضاً وينبغي لهم أن يعتذروا من مجتمعاتهم، فهم بالإضافة إلى الغرب سبب ضعفنا وتخلفنا بعد أن أخذوا فرصتهم كاملة في الحكم، وهم قادوا الأمة من كارثة إلى نكسة - والنكسة مصطلح ابتدعه صديقك هيكل فيما الحقيقة أنها هزيمة - أليس من الحياء والمروءة أن تتوقف هذه الفكرة إلى الأبد؟ كيف ترد على مثل هؤلاء؟

ج: يعتذرون عن ماذا؟

هل الدعوة للوحدة العربية.. جريمة ينبغي العقاب عليها أو تقديم الاعتذار عنها؟! إذا كان مطلوباً لكل منصف أن يفرق بين الإسلام وبين بعض الممارسات لبعض المحسوبين على التيار الإسلامي فإن المنهجية نفسها مطلوبة هاهنا أيضاً في التفريق بين القوميين وبين المحسوبين على تيارهم.

وأعترف لك الآن بأن ممارسات ضارة وكبيرة جداً يصل بعضها إلى حد الإجرام، تصدر من بعض القوميين، ولا أريد تسمية بعض التجارب في بعض البلدان العربية خارج مصر.. وهي تجارب مؤلمة ومخزية. لكن أعود إلى المبدأ وأقول بأنه يجب التفريق بين القوميين وبين المحسوبين عليهم.

على أية حال.!

تلك أمة قد خلت.!

*****

مبادئ غير صالحة

س: هناك من يقول بأن دوركم انتهى تاريخياً، ولكنكم باقون لأن هناك من يريد أن يستعملكم ليوقف بكم المد الإسلامي المتغلغل في المجتمعات الإسلامية. أنتم موجودون في الصحافة والإعلام والمؤسسات الثقافية الرسمية، لأن البديل غير مرضي عنه برغم امتداده وتمثيله الاجتماعي الكاسح.. كيف تعلّق؟

ج: إذا جاز لي التحدث على الصعيد الشخصي فإنني لا أجد تناقضاً بيني وبين التيار الإسلامي الصحيح والسليم بل على العكس، نحن أخوة وأهدافنا واحدة نحو حياة واحدة.. حياة أجمل وأكمل. ولكنني لا أخفي عليك أننا بإزاء متغيرات وأن تطبيق بعض المبادئ القومية لم يعد صالحاً لهذه المرحلة. وعلى القوميين أن يعملوا على مواءمة أنفسهم مع متطلبات المرحلة ومقتضياتها وظروفها.. وكذلك الآخرين.!!

س: أين كان محمد سعيد طيب في الستينيات الميلادية؟ ومتى بدأ تأثرك بالقومية؟ وكيف كان تفاعلك معها.. أنت وجيلك؟

ج: كان التيار القومي في حقبة الستينيات غلاباً إن صح التعبير، وكان هو السائد والمؤثر في ذلك الوقت، وأنا وأغلب أبناء ذلك الجيل شدّنا هذا التيار، لكننا لم تكن قناعتنا واحدة، بمعنى أننا كنا تحت سماء واحدة هي سماء القومية لكن الأرض من تحتنا مختلفة، فهذا قومي ناصري، وذاك قومي بعثي وذلك لا هذا ولا ذاك. وبعضهم كان وطنياً شديد الانغلاق يمثل الوطنية بأبشع صورها ويقول لك لا يهمني ما يحدث خارج حدود بلادي.!

لكن الإصرار على شيء معين هو - بتقديري - نوع من التكلف والتحجر الخالي من مبرر، والمثقف الحق والمواطن الحريص على وطنه وعلى حاضر هذا الوطن ومستقبله لابد أن يتواءم مع ما يرى أنه الأفضل والأحسن. فالوسائل لتحقيق هدف مات.. لا يجب أن تكون قوالب جامدة.

*****

خلاصة تجربة

س: هذه النتيجة التي توصلت إليها هل هي خلاصة لمسيرتك في هذا الاتجاه أم أنها مجرد مبدأ ظل يسايرك خلال مجمل مسيرة حياتك الشخصية والعملية؟

ج: بل خلاصة لتجربتي، وأضيف لك بأن من لا يستفيد من تجاربه يظل متحجراً. أنا أعترف بأن مسيرتي وتجربتي في هذا الاتجاه تخللتها أخطاء. لكنني بالمقابل لم أكن سيئ النية على الإطلاق، ولا سيئ القصد. ولم أتصادم في حياتي لغرض التصادم. كنت - وما أزال - أريد الخير والإصلاح.. وفي حالة حوار دائم ومتصل مع نفسي.. ومع الآخرين.

س: نسمع عن مؤتمرات "الحوار القومي الإسلامي"، ما رأيك فيها وهل ترى أنها ستردم الهوة الحاصلة بين التيارين جراء طغيان القوميين ضد الإسلاميين إبان الستينيات؟

ج: أنا مع الحوار، فمنه تتولد الفكرة الفضلى والمبدأ الأفضل وكذلك الوسيلة الأفضل. أنا ضد التجمد والجمود وفرض الآراء المسبقة. والحوار كفيل بتحقيق المكاسب وتقريب وجهات النظر.. وكسر حدة الاختلاف.

س: هل شاركت في هذه الملتقيات؟ وهل تمت دعوتك إليها؟

ج: لا مع الأسف. وكنت أود أن أدعى إليها. فأنا لم أكن حراً في حياتي كلها، فوظيفتي وظروفي الأخرى لم تسمحان لي في ذلك الوقت، - لكني لو دعيت الآن للبيت الدعوة.

*****

الجزر الإماراتية

س: لو نتعرف إلى وجهة نظرك في قضايا الجزر الإماراتية الثلاث التي تحتلها إيران. ما رأيك فيها وفي تداعياتها؟!

ج: كنت أتساءل على الدوام. متى أخذت هذه الجزر الثلاث؟ ولماذا لا تثار هذه القضية إلا خلال السنوات القليلة الماضية. هذان السؤالان أطرحهما على نفسي كثيراً. ومع

ذلك أقول بأن إعادة هذه الجزر إلى أهلها لا تتم إلا في ظل علاقات جيدة مع الجارة الكبرى إيران، وبغير هذا فلن تعود الجزر إلى الإمارات على الإطلاق. ولذلك، كنت وما أزال - مع التقارب السعودي الإيراني حتى وإن لم يرض ذلك بعض الإخوة في الإمارات، لأنني أعتبر إيران دولة محورية كبرى في المنطقة، كما هو حال المملكة العربية السعودية، وتقارب الدولتين مهم و أساسي في استقرار المنطقة ولمصلحة الأمتين المسلمتين: العربية والفارسية.. فضلاً عن احتواء العديد من المشكلات.

س: ألا يتعارض هذا الرأي مع مواقفك القومية التي تنادي باتخاذها كون أننا نتجه إلى إيران لنأمن شرها فنخسر بعض إخوة لنا في العروبة.. في الآن نفسه؟!

ج: لا، على العكس، هذا ليس تناقضاً.. بل دعم حقيقي ينحو بنا في نفس الاتجاه. وأنا أقول إنه ليس في مصلحة الوطن العربي كله، ومنطقة الخليج على الأخص، أن يكون هناك توتر مع جارتنا الكبرى إيران. بل لابد من الود والتفاهم.. ذلك أن ما يربطنا بإيران أكثر مما يفرقنا وأول ذلك الإسلام.

س: كما لو أنك تريد تأكيد ما أشيع عنك من قول ينحو نحو "ترك" الجزر الإماراتية إلى إيران.. فقط لأنها الشقيق الأكبر لبلدان المنطقة؟!

ج: (ضاحكاً) لا. أنا لم أقل هذا. لكنني ضد التوتر الحاصل بين دول الخليج وإيران، وأعتقد أن هذا التوتر غير مجد وهو لن يفيد البتة في إعادة الجزر، وما الذي استفدناه من كل هذا التوتر - إلا رضاء الولايات المتحدة وإسرائيل!! الذي يعيد الجزر - بتقديري - هو التقارب والتفاهم والحوار.

obeikandl.com